

البابا شنودة الثالث

تأملات في يوم
خميس العهد



اهداءات ٢٠٠٢

بـطـريـة كـيـة الأقباط الأرثوذكس

الاسكندرية

البابا شنوده الثالث

تأملات في يوم

خميس العهد

Contemplations On
The Good Thursday
by H.H. Pope Shenouda III

1 st Print
April 1982

الطبعة الأولى
إبريل ١٩٨٢



قداسة البابا شنودة الثالث

مقدمه

يوم خميس العهد من الأيام الهامة جداً في الكنيسة .
وأهم أحداث هذا اليوم العظيم ثلاثة أمور .

١ - غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه ...

وتحتفل الكنيسة بهذا الحدث الهام ، بصلاة اللقان . ثم يغسل رئيس الكهنة ، أو الكاهن الخديم ، أرجل الشعب .

٢ - تأسيس السيد المسيح لسرا الإفخارستيا :

وتحتفل الكنيسة به ، بأن تقيم القداس الإلهي لأول مرة خلال البصخة . ويتناول غالبية الشعب عادة ، مستعدين لذلك بالتوبة والإعتراف .

٣ - إهتمام الرب بتلاميذه ، وخطابه الوداعي لهم ، وصلاته لأجلهم .

وفي هذا الكتيب نقدم لك عظات عن هذه الموضوعات الثلاثة ألقيت في الكاتدرائية الكبرى خلال السنوات من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٩ .

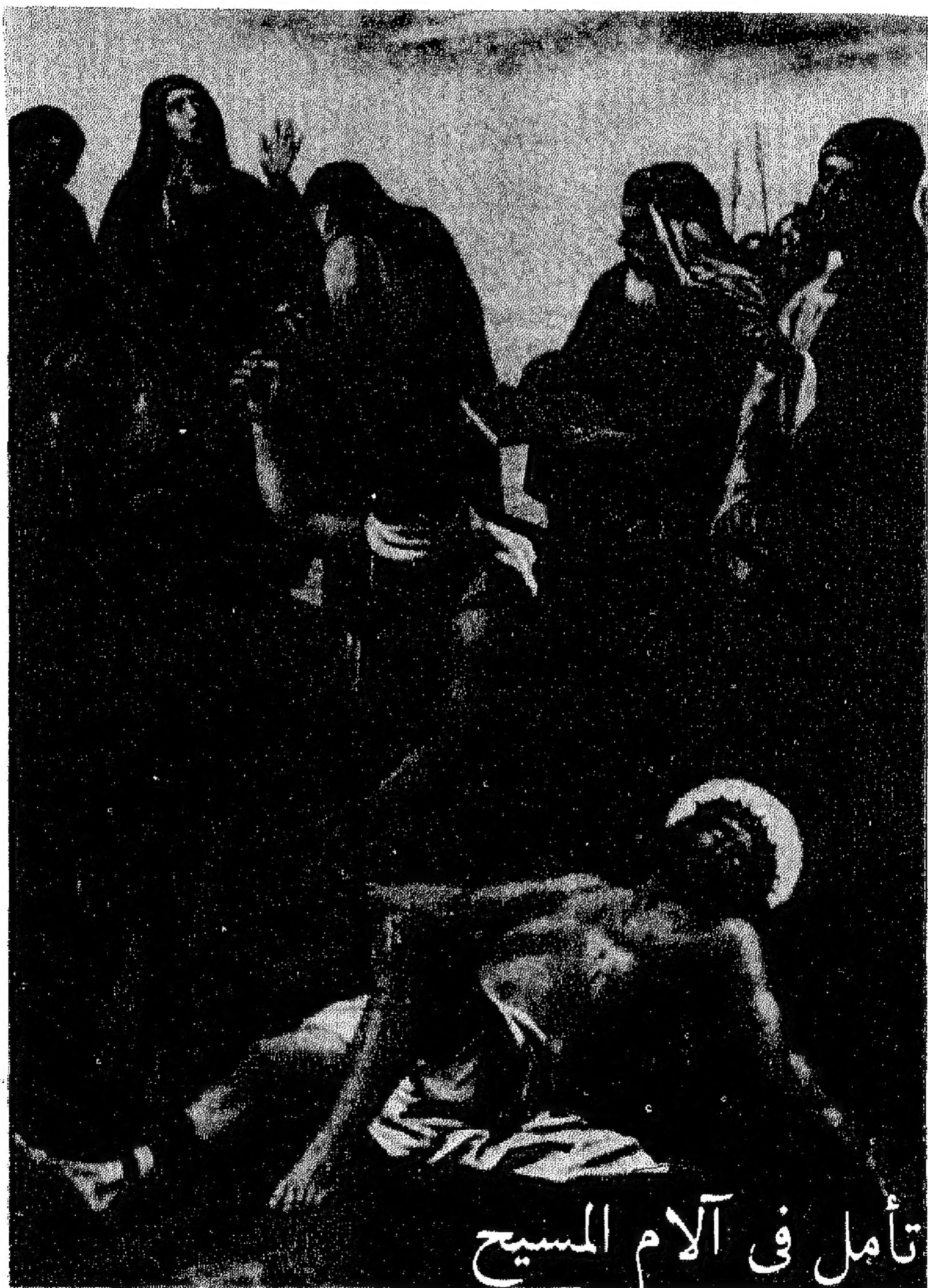
ونرجو في المستقبل ، إن أحيانا الرب وعشنا ، أن نجمع لك في مجلد كبير كل ما ألقيناه من عظات في أسبوع الآلام ، راجين لكم بصخة مقدسة ،،،

شنوده الثالث

فهرست

صفحة

- مقدمة ٥
- فهرست ٦
- * تأمل في آلام المسيح ٧
- من محاضرة ألقى في أواخر الستينات ونشرت في كتابنا (المسيح المتألم) في
إبريل ١٩٧٠ ، وقد نفذت طبعته .
- * عظة عن اللقان ٢٣
- ألقى بالكاتدرائية المرقسية الكبرى يوم خميس العهد ١٩٧٨ .
- * التوبة والتناول ٣٩
- عظة بمناسبة يوم الخميس الكبير وتأسيس سر الإفخارستيا .
- * إهتمام الرب بتلاميذه ٥٥
- محاضرة ألقى بالكاتدرائية المرقسية الكبرى مساء الخميس ١٩٧٩/٤/٢٠ .
- * جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه ٦٣
- من عظة ألقى في كنيسة مارجرجس بالجيزة يوم ١٩٧١/٤/٣ .



تأمل في آلام المسيح

البعض يتكلم عن أسبوع الآلام ، كما لو كانت آلام المسيح محصورة في هذا الأسبوع ! أو كما لو كانت آلامه قاصرة على الصلب ، أو على الآلام السابقة للصلب ، مثل الجلد والضرب وحمل الصليب ، والبصاق والإهانة والإستهزاء وعبارات التحدى الجارحة وشهادة الزور...

كلا ، فإن الألم شمل حياة المسيح كلها .

لم يكن ألمه مجرد أسبوع ، وإنما كان طوال فترة خدمته وقبلها أيضاً ، ومنذ ميلاده . بل أن الوحي الإلهي قد لخص حياة الرب بالجسد ، في تلك العبارة العميقة المركزة ، التي وصفه فيها بأنه :

« رجل أوجاع ومختبر الحزن » (أش ٥٣ : ٣) .

وقيل عنه أيضاً أنه « تألم مجرباً » (عب ٢ : ١٨) . وأصبح عمق الحياة الروحية هو أن « نتألم معه » (روم ٨ : ١٧) أو ندخل في « شركة آلامه » (في ٣ : ١٠) . فكل ألم من أجل البر ، يعتبر شركة في آلام المسيح .

وقيل عن المسيح إنه حزن واكتأب وبكى .

قيل إنه حزن واكتأب (مر ١٤ : ٣٣) . وقد قال في البستان « نفسي حزينة جداً حتى الموت » (مت ٢٦ : ٣٨) . ويكفي ما قيل في أحزانه إن « أحزاننا حملها ، وأوجاعنا تحملها » (أش ٥٣ : ٤) أي أن كل أحزان البشرية وأوجاعها قد وضعت على كتفيه ، وصارت مشاعر في قلبه ...

وقد ورد في الإنجيل أكثر من مرة إنه بكى . لقد بكى على اورشليم
(لوقا : ١٩ : ٤١) وهو يذكر ما سيصحبها من أعدائها ، وبكى عليها أيضاً لأنها
لم تعرف زمان افتقادها .

وكذلك بكى عند قبر لعازر ، الذي قالت عنه اخته أنه قد أنتن لأن له
أربعة أيام (يوحنا : ١١ : ٣٥ ، ٣٩) . بكى وهوى كيف أنه بالخطية دخل
الموت إلى العالم ، وملك على الإنسان الذي خلق على صورة الله ... وأصبح
ممكناً أن هذا الإنسان ينتن ... !

ذاق المسيح الألم ، حتى من يوم مولده .

ولد في يوم من أشد أيام الشتاء برودة ، في مكان رطب هو مزود بقر ،
إذ لم يكن لأمه موضع في البيت (لوقا : ٧) .

وبذل هيرودس كل جهده وحيلته ليقتله ، حتى أنه قتل كل أطفال
بيت لحم ، لعله يكون من بينهم ! واضطرت العذراء أن تهرب به إلى مصر .
ثم عادت « بعد أن مات الذين كانوا يطلبون نفس الصبي » (متى : ٢ :
٢٠) . وقضى المسيح فترة صباه وشبابه مجهولاً ، في بيت نجار فقير دعى أباً
له ، فلم يعرف العالم عن هذه الفترة شيئاً .

وعاش المسيح فقيراً ، يتحمل الضيق لأجلنا .

لم يمش مطلقاً في الطريق الرحب ، بل عاش حياة كلها ألم ، سواء
من جهة الجسد ، أو من جهة النفس .

لم يكن له بيت يسند فيه رأسه . ولم يكن له مال ، حتى عندما طلبت
منه الجزية ، لم يكن له ما يعطيه .

جرب التعب ، وجرب أيضاً الجوع والعطش .

وكمثال لتعبه ، قيل إنه تعب من مشقة وطول الطريق ، وقد مشى مسافات طويلة لكي يخلص المرأة السامرية . وقال الكتاب في ذلك « فإذ كان يسوع قد تعب هكذا من السفر ، جلس على البئر . وكان نحو الساعة السادسة (في الظهر تماماً) (يوحنا : ٤ : ٦) .

وكما جرب المسيح التعب ، جرب الجوع . وحينما نقول الجوع ، لا نقصد الجوع العادي ، كأن يتأخر إنسان ساعة عن موعد أكله ، فيقال إنه جاع ! كلا ، بل حينما قيل عن المسيح أنه جاع على الجبل ، كان المقصود آخر ما يمكن أن تحتمله الطاقة البشرية في الإمتناع عن الأكل . لذلك حسناً قيل إنه « جاع أخيراً » (مت : ٤ : ٢) أخيراً ، بعد صوم إستمر أربعين يوماً .

ولما قيل إنه عطش على الصليب ، كان المقصود به عطشاً لا يحتمل ، بعد أن تصفى تقريباً ما في جسده من دم ومن ماء ...
أما عطشه وجوعه عند بئر السامرة ، فلم يقل الكتاب وقتذاك أنه شرب ماء . ومن جهة الطعام ، لم يأكل وقال « طعمني أن أفعل مشيئة الذي أرسلني » (يوحنا : ٤ : ٣٤) . ولم يقل الكتاب في تلك المناسبة إنه جاع أو عطش . إنه جوع عادي ، وعطش عادي ، يعبر الكتاب عنها ...

وفي خدمة المسيح ، جابه ألماً آخر ، هو ألم الرفض :

إلى خاصته جاء ، وخاصته لم تقبله « (يوحنا : ١١ : ١١) كان نوراً للعالم ، وهذا النور أضاء في الظلمة ، والظلمة لم تتركه » (يوحنا : ١ : ٥) . إنه أمر مؤلم

حقاً ، أن النور جاء إلى العالم ، ولكن أحب الناس الظلمة أكثر من النور ،
لأن أعمالهم كانت شريرة (يوحنا : ١٩ : ١) . وتحققت في الرب نبوءة المزمور
« رفضوني أنا الحبيب مثل الميت المردول » (مزمور : ٣٧ : ٢) .

عاش يعامل الناس بالحب ، ولا يجد حباً مقابل حبه .
لم يجد محبة تماثل محبته ، ولا معاملة طيبة تماثل معاملته الطيبة
للناس . والعبارة التي قيلت عنه إنه لم يجد موضعاً يسند فيه رأسه (مت : ٨ :
٢٠) ، كما نفهمها من الناحية المادية ، الحرفية ، نفهمها أيضاً من الناحية
العاطفية كذلك . فقد عاش الرب وسط أشخاص جاحدين ، ناكرين
للجميل ، ناكرين للحب .

ذهب مرة إلى بلده بيت لحم ، فرفض أهلها أن يقبلوه .
لم يؤمنوا به ، بل قابلوه باستهزاء وباحتقار قائلين « أليس هذا هو ابن
النجار ؟ ! من أين لهذا هذه الحكمة والقوات ؟ ! فكانوا يُعشرون به »
(مت : ١٣ : ٥٤-٥٨) حتى قال لهم الرب : ليس نبي بلا كرامة إلا في
وطنه وفي بيته ...

وذهب إلى أحد قرى السامرة ، فأغلقت أبوابها في وجهه .
حتى غضب تلميذاه لهذا الأمر ، أما هو فاحتمل السامرة بحب كبير
وصبر طويل إلى أن تمكن من دخولها فيما بعد والعمل على خلاصها . ولما
رأى ثمار تعبهم في السامرة ، قال لتلاميذه : أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم
تتعبوا فيه (يوحنا : ٤ : ٣٨) . نعم إن العمل على خلاص النفس يحتاج إلى

تعب وإلى احتمال ...

أحياناً كان يرى أبواب القلوب مغلقة ، فيقف ويقرع ...
وقد يطول به الوقوف ، حتى يمتلىء رأسه من الطل ، وقصصه من ندى
الليل (نش ٥ : ٢) . وهو لا يمل الانتظار ، ولا يخجل منه ...
والرب بهذا يعطينا درساً أن كسب محبة الناس يحتاج منا إلى احتمال
وطول بال . فأحياناً تكون القلوب صلبة وشديدة ، ولا يمكن دخولها بسرعة
ولا بسهولة ... فإن تعبنا في دخول قلوب الناس ، فلا تتضايق . هكذا
حدث للمسيح . منبوع الحب . وإن دخلت قلباً ، ولم تجد فيه محبة مثل
محبتك ، فلا تحزن . فهكذا حدث للمسيح قبلاً ، ولم يعامل الناس بمثل
معاملتهم .

بل كان وسط الكل « يجول يصنع خيراً » (أع ١٠ : ٣٨) .
« يكرز ببشارة الملكوت ، ويشفي كل مرض وكل ضعف في
الشعب » (مت ٤ : ٢٣) فمن من الناس لم يأخذ من محبة المسيح ومن
تعبه ؟! الكل أخذوا ... حتى الذين رفضوه ، حتى الذين صاحوا فيما بعد
أصلبه أصلبه ...

كان يوزع محبته على الكل ، فيلاقي إنتقاداً من معلمى الشعب .
إن اشفق على عشار لكي يخلص نفسه ، انتقدوه قائلين « إنه دخل
ليبيت عند رجل خاطيء » (لو ١٩ : ٧) ، فيجيب المسيح : اليوم حصل
خلاص لهذا البيت ، إذ هو أيضاً ابن لإبراهيم .



ويحتمل الرب هؤلاء المنتقدين ، ويعمل على اقناعهم ليكسبهم .
كم من مرة فعل خيراً ، فانتقدوه على فعل الخير ، من زاوية معينة ،
كما حدث في الحب الذي بذله نحو العشارين ليخلصهم . أو نحو
السامريين المردولين منهم ... وأضطر أن يقول لهم مثل الفريسي والعشار
(لوقا : ١٨-٩) ومثل السامري الصالح (لوقا : ١٠ : ٣٠-٣٥) .

وبالمثل أشفق على تلك المرأة الخاطئة التي بللت قدميه بدموعها ،
فانتقذه سمعان الفريسي قائلاً في قلبه « لو كان هذا الإنسان نبياً ، لعلم
من هذه المرأة وما حالها ، إنها خاطئة » (لوقا : ٧ : ٣٩) . فشرح لهذا
الفريسي كيف أن الذي يغفر له الكثير يحب كثيراً .

وبنفس القلب الشفوق الحنون الطيب ، أشفق على المرأة الزانية التي
ضبطت في ذات الفعل ، وأنقذها من القساة المشتكين عليها طالبين
رجمها ، وهم يعرفون شفقتهم على الخطاة ، إنما فعلوا ذلك « ليجربوه ، لكي
يكون لهم ما يشتكون به عليه » (يوحنا : ٨ : ٦) .

عجيب أن هذا القدوس ، قوبل من قادة الدين في عصره
بسلسلة من الشتائم والافتراءات .

سلسلة من شتائم وإتهامات

قالوا له « أليس حسناً قلنا إنك سامري وبك شيطان » (يوحنا :
٨ : ٤٨) . ياللعجب أن يقال عن رب المجد ، الذي يخرج الشياطين

و يطردهم ، إن به شيطاناً ! يقولون له « بك شيطان » ! و يظن المجدفون بهذا أنهم « حسناً قالوا » !

فلا تتعب يا أخى إن قيلت عنك كلمة رديئة ربما أقل من هذه .
فالمسيح قد قيل عنه إنه سامرى وبه شيطان . والعجيب أن الرب لما سمع هذه الإهانة ، رد بهدوء عجيب وبدون إنفعال .

ما هذا يارب ؟ قل أن ينزل نار من السماء وتفتنيهم . هذا جتس لا تنفع معه الطيبة . أضرب ضربتك فيوقروك ... وكأن الرب يحيب : ليس هذا هو اسلوبى . سأتركهم الآن فى حدتهم . وبعد حين سيعقلون ويتوبون ، و ينظرون إلى الذى طعنوه وجرحوه ، و يندمون .
ما أكثر ما أحتمل الرب من إنتقادات وإتهامات .

بل أن كل معجزة كان يصنعها ، كانوا يحاولون أن يغطوا مجدها
بشتائمهم وإنتقاداتهم وإتهاماتهم .

كان يخرج الشاطين من المصروعين ، فيقولون « بيعلز بول رئيس الشياطين يخرج الشياطين » (مت ١٢ : ٢٤) كما لو كان الرب من جند الشيطان !

و يفتح عيني المولود أعمى ، المعجزة التى لم يحدث لها مثيل من قبل .
فبدلاً من أن يؤمن أولئك المعاندون به ، نراهم يقولون عنه « هذا الإنسان ليس من الله » . و يقابلون الأعمى الذى أبصر ، و يضغطون عليه قائلين « أعط مجداً لله . نحن نعلم أن هذا الإنسان خاطيء ... » (يوحنا ٩ : ١٥)

١٦-٢٤) . فلما دافع الأعمى الذى أبصر عن المسيح « شتموه قائلين أنت تلميذ ذاك » كما لو كانت التلمذة للمسيح تهمة وعاراً !!

يا للعجب ! يوصف الرب بأنه سامرى ، وبه شيطان ، وبرئيس الشياطين يخرج الشياطين . ويوصف بأنه خاطيء ، وبأنه ليس من الله ، وبأن التلمذة له عار... وماذا أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً إنه كاسر للسبت (يوحنا ٩ : ١٦) .

وقالوا إنه « أكل وشرب خمر » (لوقا ٧ : ٢٤) .

وقالوا إنه « عيب للعشارين والخطاة » (مت ١١ : ١٩) .

وماذا قالوا عنه أيضاً ؟

قالوا عنه أيضاً أنه « مجدف » و « يتكلم بتجديف » ... !

(مت ٩ : ٣) .

ورفعوا حجارة ليرجموه (يوحنا ٨ : ٥٩) محاولين رجمه أكثر من مرة (يوحنا ١٠ :

٣١) . وعلموا محاولتهم لرجمه بقولهم له « لسنا نرجمك لأجل عمل حسن ،

بل لأجل تجديف » (يوحنا ١٠ : ٣٣) . وعندما حكم عليه رئيس الكهنة

بحكم الموت ، كان الحكم لهذا السبب عينه ، تهمة التجديف... ! مزق

رئيس الكهنة ثيابه قائلاً « قد جدف . ما حاجتنا بعد إلى شهود . قد

سمعتم تجديفه » (مت ٢٦ : ٦٥) .

إنه مذهب حق ، أن رئيس الإيمان ومكمله ، المعلم الصالح المدخرة فيه

كل كنوز العلم والمعرفة ، يدعى مجدفاً ، وهو « حكمة الله وقوة الله »

(١ كورنثوس ٢ : ٢٤) ...

واتهموه أيضاً بتهم سياسية . فقالوا إنه ضد قيصر ، وأنه « يهيج الشعب » وأنه « يفسد الأمة » (لوقا : ٢٣ : ٢ ، ٥) .

هؤلاء الذين أردوا المسيح ملكاً عليهم ، يخلصهم من حكم قيصر ، بل أرادوا أن يختطوه ليجعلوه ملكاً (يوحنا : ٦ : ١٥) ، هؤلاء لما رفض المسيح هذا الملك الأرضي ، لأن مملكته ليست من هذا العالم (يوحنا : ١٨ : ٣٦) ، ولأنه يريد مملكة روحية في قلوب الناس ، وليس مملكة أرضية ، حينئذ اتهموه بأنه ضد قيصر !!

« وإبتدأوا يشتكون عليه قائلين : إننا وجدنا هذا يفسد الأمة ، وينع أن تعطى جزية لقيصر ، قائلاً إنه مسيح ملك » (لوقا : ٢٣ : ٢) !!
يا للعجب ، يلفقون هذه التهمة ، ولا ينجلون من عبارته المشهورة « أعطوا ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله » (مرقس : ١٢ : ١٧) .

وإذا بهؤلاء الشائرين على قيصر ، الطالبين ملكاً يخلصهم منه ، يتمسحون الآن في قيصر ، بصغر نفس ، وبالسدس والوقية ، مقدمين المسيح كمتهم بهذه التهمة . وصمت المسيح لأنه « حمل خطايانا » ... ولم يكتفوا بتهمة التجديف وبالتهمة السياسية ، بل أيضاً .

اتهموه بأنه مضل ، حتى بعد موته على الصليب لأجلهم ، ولأجل العالم كله . فذهبوا إلى بيلاطس ، وقالوا له « يا سيد ، قد تذكرنا أن ذلك المضل قال بعد وهو حي ، إني بعد ثلاثة أيام أقوم فربضبط القبر إلى اليوم الثالث ، لئلا يأتي تلاميذه ليلاً ويسرقوه ويقولوا للشعب إنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشد من الأولى » (متى : ٢٧ :

(٦٤، ٦٣) .

وهكذا وصفوه بأنه مضل ، وبأن تلاميذه مثله ، سيقودون الشعب إلى ضلالة أشر... !

هذا هو المسيح الذى « أخصى مع الأثمة » ...
والذى قابل الموت « محترماً ومخدولاً من الناس » (أش ٥٣ :
١٢) .

حقاً إن السيد المسيح لم يقابل بحب مثل حبه ، فتمت الكلمة
المكتوبة فى ناموسهم « أبغضونى بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) (يوح ١٥ :
٢٥) .

هذا هو المسيح الذى قدموه كضائر ، ثائر على المجتمع يريد أن يغير
عوائده وتقاليده ، وثائر على الدين يقول إنه سيهدم الهيكل و يبنيه فى ثلاثة
أيام ، وثائر أيضاً على قيصر ، يمنع أن تدفع جزية له ... هذا الوديع الذى لا
يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته ...

هذا هو المسيح ، الذى أبغضه الكثيرون .
فقام ضده الكتبة والفريسيون والصدوقيون والناموسيون ، والشيوخ
والكهنة ورؤساء الشعب ... وكانوا يحاولون فى كل مناسبة أن « يصطادوه
بكلمة » (مت ٢٢ : ١٥) (مر ١٢ : ١٣) .

وهكذا تعرض كل يوم للمقاومين والمعاندين ، الذين يحاولون أن
يشيعوا عنه باستمرار كلمة ردية ... قاموا على الرب وعلى مسيحه وهم
يقولون : لنقطع أغلالها ، ولنطرح عنا نيرها (مز ٢) .

إننا عندما نرى آلام السيد المسيح ، نتعزى فى آلامنا .
وعندما نرى آلامه ، نتبكت فى داخلنا ، لأننا سبب آلامه ...

كثيرون يحزنون على آلام المسيح ، وهوير يدون آلامه بأفعالهم وفى
كل يوم يضيفون إلى المسيح ألماً جديداً ...
وكثيرون يرون صورة المسيح المصلوب ، فيبكون و يتألمون فى قلوبهم ،
بينما هم يصلبون المسيح كل يوم ...

إن أردنا حقاً أن نخفف من آلام المسيح ، علينا أن نتوب ، لأننا بذلك
لا تحزن قلبه بخطية جديدة ، ولا نضع قطرة جديدة فى كأس آلامه بسبب
خطايانا . فلترك الخطية إذن ، لتفرح قلب الله .

لتكن توبتنا مخلوطة بمحبة المسيح المصلوب عنا .
كثيرون يستعدون عن الخطية ، خوفاً من جهنم والعقاب الأبدى .
ولكن ليتنا نترك الخطية ، لأنها تؤلم المسيح ، وتجرح قلبه المحب ، وليس
لمجرد خوفنا من فقد الملكوت ، أو حرصاً على أنفسنا .

لا تكن توبتنا مركزة فى ذاتنا ، نقاوتها ومصيرها ، بل الحرى فلنركز
مشاعرنا فى الله الذى أحبنا ، والذى يعتبرها خيانة منا ، أن نقابل محبته
بالجنود ، ونضيف إليه بأخطائنا آلاماً أخرى .

ولنطلب من الرب أن يعيننا على أن نحيا فى البر ، حتى لا تؤلم قلبه
الذى لم يؤلم أحداً ، قلبه المملوء حباً لنا ، واشفاقاً علينا ، حتى ونحن
نخطئ .

المسيح في آلامه عن خطايانا ، كان يشفق ولا يدين .
الدينونة لها وقت آخر في مجيئه الثاني . أما في فترة آلامه ، فقد وضع
أمامنا حقيقة معزية وهي : « لم آت لأدين العالم ، بل لأخلص العالم »
(يوحنا ١٢ : ٤٧) ...

والأمر الذي يدعو إلى الإعجاب حقاً في آلام المسيح :
إن كل أخطاء الناس ، لم تغير إطلاقاً من محبته لهم .
كل خيانتهم ورفضهم ، وكل ما حاكوه حوله من دسائس ، وما لفقوه
حوله من تهم وأكاذيب ، بل وكل اعتداءاتهم من ضرب ولطم واستهزاء ...
كل ذلك لم يهز محبته العظمى التي لا تحدد ...

ظل كما هو القلب الكبير ، الذي يسع الكل ... يسع ضعفات أحبائه ،
و يسع خيانة الشعب الذي أحسن هو إليه . هذا القلب الكبير الذي صلي
لأجل صالبيه قائلاً : « يا أبتاه اغفر لهم ، لأنهم لا يدرون ماذا يفعلون »
(لوقا ٢٣ : ٣٤) .

حقاً إن محبة المسيح كانت أقوى بكثير جداً من آلامه ...

والمذهل أيضاً في آلامه ، أنها كانت سبباً لسروره ...

يقول معلمنا بولس الرسول « ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكملة
يسوع ، الذي من أجل السرور الموضوع أمامه ، احتمل الصليب مستهيناً
بالحزى » . (عب ١٢ : ٢) .

لقد وجد السيد المسيح سروراً في تحمل الآلام ، من أجل فرحه

بخلاصنا ، لذلك إستهان بالحزى . ولم يتألم عنا متضجراً إنما فرحاً ، بسبب محبته الكبيرة لنا ، ومحبته للآب وإرضائه . فكان فى صلبه « محرقة وقود ، رائحة سرور للرب » (لا ١١ : ٩) .

لقد أعطانا المسيح خلاصاً . والمعطى بسرور يحبه الرب .
كان يعطى حياته فداء عن العالم . وكان عطاؤه ممزوجاً بمحبته ، وكان عطاء بسرور ، من أجل الخلاص العظيم وإتمامه ...
والجميل فى آلام المسيح أيضاً ، أنه قدّس الألم ...
الألم جاء نتيجة للخطية ، دخل العالم فى أثرها ... كما دخل فى أثرها أيضاً الموت .

وقد أراد المسيح أن يخلصنا من كليهما ، من الألم والموت . فإذا به بالموت قد داس الموت . وإذا بالألم قد قدّس الألم ، وحوله إلى علامة حب ، وعلامة طاعة .
طاعة للآب ... وحب للبشر .

ونحن كلما ننظر إلى المسيح المتألم ، إنما نذكر حبه ، ونذكر تقديسه للألم ، وقدسية آلام كل الذين احتملوا من أجله ، كالشهداء والمعترفين ، وكل من حملوا الصليب فى حياتهم .

وإذ نحب الألم وقدسيته ، ندخل فى شركة آلام المسيح ...
كما قال القديس بولس الرسول « لأعرفه ، وقوة قيامته ، وشركة آلامه ، مشتبهاً بموته » (فى ٣ : ١٠) .

كيف ندخل في شركة آلام المسيح ؟

هذا موضوع طويل ، موعداً فيه محاضرة أخرى ، إن أحببت نعمة الرب وعشنا .

أما الآن فلنستمر في تأملاتنا في آلام المسيح لأجلنا . وكيف أنه في عمق آلامه كان يعمل لأجلنا ، مهتماً بنا .

وفي يوم الخميس الكبير ، وهو عالم أن ساعته قد جاءت (يوحنا ١٣ : ١) قدم لنا عمليتين من أعمال محبته هما :

• تقديم جسده ودمه لنا ، لأجل أن نثبت فيه .

• وقبل ذلك غسل أرجلنا ، رمز لتطهيرنا قبل التناول .

فلنأخذ هذين الموضوعين مجالاً للتأمل في محبة الرب لنا ، أثناء آلامه

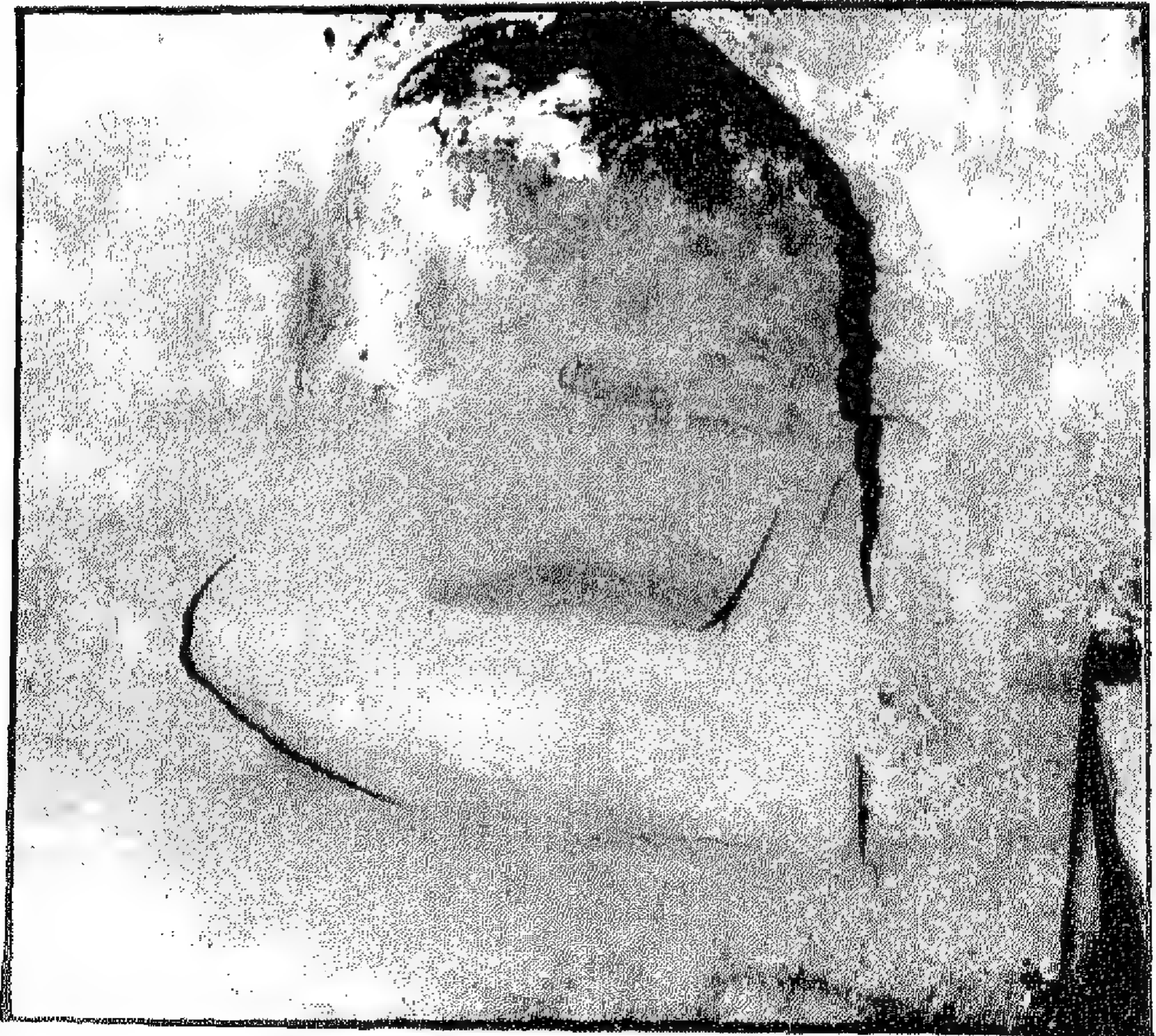
عنا ...



عظة عن اللقان

يوم خميس العهد

« قام عن العشاء ، وخلع ثيابه ، وأخذ منشفة
واتزربها . ثم صب ماء في مغسل ، وابتدأ
يغسل أرجل التلاميذ ويمسحها بالمنشفة »
(يو ١٣ : ٤ ، ٥) .



دروس روحية من المساء :

لقد غسل السيد المسيح أرجل تلاميذه يوم الخميس الكبير ،
وغسلها قبل تناول ، قبل أن يمنحهم السرائر المقدسة ،
وقال لهم بعد غسل أرجلهم ، ها أنتم طاهرون ...

لعله أراد أن يعطينا درساً عن الطهارة قبل تناول ،
فيتقدم الإنسان إلى الأسرار المقدسة وهو طاهر ...

أولعله يعطينا درساً آخر ، أن الطهارة منحة من عنده . هو الذى
يمنحنا إياها ، هو يغسلنا فنطهر .

ونلاحظ أنه غسل أرجل التلاميذ ، دون أن يطلبوا ذلك ، كما منحنا
الفداء العظيم دون أن نطلب ...

أولعله أراد أن يعطينا درساً فى التواضع ...

فى التواضع ، إذ كيف ينحنى المعلم العظيم ليغسل أرجل تلاميذه ،
وكيف ينحنى الرب نفسه ليغسل أرجل صنعة يديه .

ولكى يوضح هذا الدرس ، قال لهم بعد غسل أرجلهم :

« أتفهمون ما قد صنعت بكم ؟ أنتم تدعوننى معلماً وسيداً ، وحسناً
تقولون لأنى أنا كذلك . فإن كنت - وأنا السيد والمعلم - قد غسلت
أرجلكم ، فأنتم يجب عليكم أن يغسل بعضكم أرجل بعض . لأنى

أعطيتكم مثلاً ، حتى كما صنعت بكم تصنعون أنتم أيضاً »
(يوحنا : ١٣-١٢-١٥) .

أولعل الرب أعطانا بغسل الأرجل درساً في المحبة ...

فهو من محبته لتلاميذه ، منحهم هذه الطهارة ، كي يمنحهم بنفس
المحبة جسده ودمه . ولذلك قيل عنه قبل غسله لأرجل تلاميذه « إذ كان
قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى ... » (يوحنا : ١٣) .

ولعل في الماء دروساً أخرى ، علينا أن نتأملها اليوم :

وأظن أنه من النافع لنا ، أن نأخذ فكرة عن هذا الماء الذي سنغسل
به أرجلنا اليوم بعد طقس صلاة اللقان ...

ما هو الماء في الكتاب المقدس ؟ وما مدى علاقتنا به ؟
الماء في الكتاب المقدس له على الأقل ثلاثة رموز أو ثلاثة معانٍ . نود
أن نتكلم عنها ، ثم نتابع تأملاتنا فيه :

الماء يرمز إلى النقاوة والتطهير ...

ويرمز إلى الحياة ...

ويرمز إلى عمل الروح القدس ،

أو إلى الروح القدس نفسه ...

١ - الماء وعمل التطهير :

عمل التطهير واضح جداً من فصل إنجيل اليوم في غسل السيد لأرجل تلاميذه . وتوجد أمثلة أخرى كثيرة في الكتاب المقدس .
ولعلنا نذكر أنه كانت توجد مرحضة في خيمة الاجتماع ، بين الخيمة والمذبح ، وفي المرحضة ماء « فيغسل هرون وبنوه أيديهم وأرجلهم منها ... عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة ... فريضة أبدية له ولنسله في أجيالهم » (خر ٣٠ : ١٨-٢١) .

الإغتسال أولاً . الطهارة أولاً ، قبل التقدم إلى المذبح والذبيحة .

ومثال الإغتسال في خيمة الاجتماع ، يقابله أيضاً الإغتسال في الأردن ، وفي بركة سلوام ، وفي بركة بيت حسدا ...

“ هنا ونقف وقفة تأمل أمام قصة تطهير نعمان السرياني .
كان هذا الرجل أبرص . والبرص كان نجاسة ، وكان يرمز إلى الخطية ، ويحتاج إلى تطهير . فكيف يتم تطهير نعمان من برصه ؟ أمره أليشع النبي أن يغتسل في نهر الأردن ليبراً (٢ مل ٥ : ١٠) . ونهر الأردن يذكّرنا بعمودية يوحنا ، حيث كان اليهود يأتون إليه ، ويطهرون في الأردن و ينالون مغفرة خطاياهم ، فيطهرون روحياً ...

أخرج من هذا بأن ماء الطهارة أيضاً له رمز إلى المعمودية ؟

قصة أخرى يقدمها الكتاب ، وهى شفاء مريض بيت حسدا .
كان فيها أيضاً الشفاء مرتبطاً بالماء . وما أجل قول الكتاب فى تلك
القصة إن ملاكاً كان ينزل إلى البركة ويحرك الماء (يوه : ٤) . ويتم
الشفاء لمن ينزل إلى البركة بعد تحريك الملاك للماء . فالملاك إذن كان
يتحركه للماء ، يعطى الماء فاعلية وقوة .

يذكرنى هذا بالأب الكاهن ، عندما يمسك صليبه ، ويحرك به الماء فى
جرن المعمودية ، أوفى اللقان ، وهو يرشم هذا الماء ، ويعطيه قوة
وفاعلية ...

أذكر أيضاً بركة سلوام ، التى أرسل إليها السيد المسيح رجلاً مولوداً
أعمى ، لكى يغتسل من مائها ، فيبرأ ويستنير ويبصر (يوه : ٩ : ٧) .

يمكن أن نضم الدموع أيضاً إلى موضوع الماء ...
فالدموع ماء ، يحدث به تطهير للنفس وشفاء للروح ، كما حدث من
ماء بركة سلوام ، وبركة بيت حسدا .

فى قصة المرأة الخاطئة التى علمت أن السيد المسيح متكئ فى بيت
الفريسي ، فأخذت قارورة طيب كثير الثمن ، ووقفت عند قدمى المسيح
بأكية ، وكانت تبلل قدميه بدموعها وتدهنها بالطيب (لوقا : ٧ : ٣٨) .

صدقونى لست أعلم : أيها كان أطيّب رائحة ، الطيب أم دموع
هذه التائبة ؟! بلا شك الدموع كانت صاحبة الفاعلية ...

كانت دموع هذه المرأة طيباً من نوع غالى الثمن جداً . والسيد الرب
طوّب هذا الطيب الجديد الذى تبللت به قدماه .

إذن الماء مرتبط بالتطهير ، حتى ماء العيون ، حينما يحركه ملاك ترسله
النعمة . هنا ونتذكر قول المزمور (مز ٥٠) : إنضج على بزوفاك فأطهر .
وماذا أيضاً ؟ يقول المرتل :

« إغسلنى ، فأبيض أكثر من الثلج » ...

والغسل فى المسيحية بطريقتين : المعمودية ، والتوبة .

ونرى أن الخاطئة يهوذا ، التى وردت قصة تطهيرها فى الأصحاح ١٦
من سفر حزقيال النبي ، قال لها الرب « وجدتك مدوسة بدمك ...
فحممتك بالماء ، ودهنتك بالزيت » . الماء هنا يرمز إلى ماء المعمودية
الذى يطهر به الإنسان من كل خطاياها السابقة الجدية والفعلية . والزيت
يرمز إلى زيت الميرون الذى يعطى الروح القدس ، ولكن بعد الماء ...

ولقد ظل الماء رمزاً للتطهير ، حتى أن الكاهن قبل أن يبدأ القداس ،
يغسل يديه بالماء ثلاث مرات ، ويقول فيها :

« أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » (مز ٢٥) .

لا يقول « أغسل يدي بالماء » إنما « أغسل يدي بالنقاوة » لأن
غسيل الماء هنا يرمز إلى النقاوة ، كما ترمز إليها الملابس البيضاء التى
يلبسها الكاهن وقت الخدمة . وكما كان يغتسل هرون وبنوه قبل تقديمهم
إلى المذبح ...

ورمز الماء إلى الطهارة ، كان معروفاً حتى بين الأمم . فبيلاتس البنطى ، لكى يريح نفسه من تعب ضميره ، غسل يديه بالماء وهو يقول « أنا برىء من دم هذا البار » (مت ٢٧ : ٢٤) . طبعاً هو لم يكن بريئاً ، ولكننا نذكر هنا مجرد إيمانه برمز غسل الماء إلى الطهارة .

هنا ونود أن نطرح تأملاً بسيطاً خاصاً بماء الطوفان ...
لا ننكر أن مياه الطوفان كانت عقوبة من الله . ولكن هل يقف الأمر عند مجرد العقوبة ؟ أم كانت هذه المياه تطهيراً للأرض من الخطية والخطاة ، تطهيراً للأرض من الفساد الذى نجسها ، فغسلها الله من خطايا الإنسان ، بالماء ليطهرها ويجدها لكى تحيا مرة أخرى فى نقاوة ...

إن غسل السيد المسيح لأرجل تلاميذه كان يرمز لتطهيرهم . ولا شك أن هذا كان لازماً فى مناسبة الفصح وعيد الفطير .

نلاحظ من قراءات الكنيسة فى طقس الخميس الكبير ، فى هذه الساعة المقدسة وما قبلها ، أن غسل الأرجل تم فى اليوم الأول من عيد الفصح وعيد الفطير .

الفطير يرمز للنقاوة والطهارة التى تليق بتناول الفصح ، بينما الخمير يرمز إلى الشر . وقد غسل السيد المسيح أرجل التلاميذ فى هذه المناسبة المقدسة ، التى جمع فيها بين عيد الفصح ، وبين تقديم نفسه فصحاً عنا .

ومعلمنا بولس الرسول أشار إلى كل هذا بقوله : لأن فصحنا أيضاً المسيح قد ذُبح لأجلنا . فلنعيّد لا بخمير الخبث والشر ، بل بفطير

الإخلاص والحق (١ كوه : ٧، ٨) .

وخروف الفصح قديماً كانوا يأكلونه مع فطير (خر ١٢ : ٨) رمزاً إلى النقاوة التي تليق بالأكل من خروف الفصح . حقاً إن خروف الفصح قد خلصهم من الموت ، والملاك المهلك لما رأى الدم عبر عنهم . ولكنهم لكي يتمتعوا بذلك الخلاص لا بد أن يعيشوا في فطير دائم ترمز إليه السبعة الأيام ، أى في نقاوة كاملة . وكل نفس تستبق في بيتها خيراً في أيام الفصح (أى شراً) تقطع تلك النفس من جماعة الشعب (خر ١٢ : ١٩) .
والسيد المسيح مع الفصح غسل أرجل التلاميذ ، رمزاً للنقاوة التي يشير إليها الفطير .

وغسل الماء يرمز أيضاً إلى المعمودية ...
والكتاب المقدس يسميه غسيل أوحيم الميلاد الثانى (تي ٣ : ٦) .
في المعمودية توجد عملية تطهير من جميع الخطايا السابقة ، سواء الأصلية أو الفعلية ، عن طريق الماء والروح .
ومنعود إلى هذا الموضوع مرة أخرى في سياق حديثنا ...
ونكتفي الآن في مناسبة اللقان ، برمز الماء إلى عمل التطهير ، ونحن مقبلون على هذا السر العظيم ، التناول من جسد الرب ودمه ...

٢ - الماء يرمز إلى الروح القدس :

وهذا واضح من قول الرب في الإنجيل المقدس « من آمن بي - كما قال الكتاب - تجرى من بطنه أنهار ماء حى . قال هذا عن الروح الذى

كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه » (يوحنا : ٣٨) .

ولأن روح الله شُبه بالماء ، لذلك فإن تلاميذ الرب الممثلين بالروح شُبهوا بالأنهار . وكذلك الأناجيل الموحى بها من الروح .

وهكذا قيل عن الكنيسة المقدسة في الزمور (مز ٢٣) « هو على البحار أسسها ، وعلى الأنهار هياها » . وحسن ما ورد في قصة الخليقة أن أربعة أنهار كانت تروى الجنة (تك ٢ : ١٤-١٥) . ولعلها ترمز إلى الأناجيل ، التي تروى المؤمنين جميعاً ، والتي كتبت بالروح القدس « الناطق بالأنبياء » .

ولأن الماء يرمز إلى الروح ، شبه الله نفسه بالماء ، فقال « تركوني أنا ينبوع المياه الحية . لينقروا لأنفسهم آباراً ، آباراً مشقة لا تضبط ماء » (أرميا : ١٣) .

وأصبح الشخص الذى يحيا حياته مرتوياً من الروح القدس ، يُشبهه بشجرة مغروسة على مجارى المياه ، إنها تحيا بهذا الماء ، وبه تنمو . وبدونه تموت ...
وهكذا ارتبط الماء أيضاً بالحياة ، ولقب أيضاً في الكتاب بالماء الحى .

٣ - إرتباط الماء بالحياة :

حتى الحياة الجسدية ترتبط أيضاً بالماء ، سواء كانت حياة لإنسان أو

نبات أو حيوان . وقد قيل في قصة الخليقة إن الله أخرج من الماء ذوات
الأنفس الحية (تك ١ : ٢٠ ، ٢١) .

والحياة الروحية أيضاً ترتبط بالماء ...

تبدأ بالولادة من الله ، الولادة التي من فوق ، من الماء والروح (يوحنا ٣ :
٥ ، ٦) . ولماذا الماء ؟ لأن الروح القدس يعمل في الماء ، وفيه يطهر
ويحيى ، يعطى نقاوة وحياة .

يغتسل الإنسان في ماء المعمودية فيأخذ طهارة . يموت الإنسان
العتيق ، ويحيا إنسان جديد على صورة الله . فينال الإنسان حياة ، وينجو
من حكم الموت ...

هذه هي المعمودية . ولها رموز في العهد القديم أيضاً ...

قال القديس بولس الرسول « لست أريد أيها الأخوة أن تجهلوا ، أن
آباءنا جميعهم كانوا تحت السحابة ، وجميعهم اجتازوا في البحر ، وجميعهم
اعتمدوا لموسى في السحابة وفي البحر » (١ كور ١٠ : ١ ، ٢) .

السحابة ماء ، والبحر ماء ، وكلاهما كان للمعمودية .

هذا الماء دخله آباؤنا شعباً مستعبداً تحت عبودية فرعون . وخرجوا منه
شعباً حراً تحت قيادة الله وموسى .

هذا الشعب الهارب من العبودية ، دخل الماء والموت يجرى وراءه ،
وخرج منه وقد نال حياة جديدة إنتصرت على الموت .

حدث تغيير هام في اجتياز هذا الشعب للماء ...

وكانت السحابة تظلّلهم باستمرار ، لأنهم كانوا يعيشون في ظل هذا الماء الحى ، أو الماء المحيى ، طول مدة غربتهم في البرية التي ترمز إلى غربته هذا العالم الحاضر .

إن السيد المسيح يدعونا إلى مائه ويقول :
إن عطش أحد ، فليقبل إلّى ويشرب » (يوحنا : ٣٧) .
وقد دعا المرأة السامرية إلى مائه الحى ، وقال لها « من يشرب من الماء الذى أعطيه أنا ، فلن يعطش إلى الأبد . بل الماء الذى أعطيه ، يضير فيه ينبوع ماء ينبع إلى حياة أبدية » (يوحنا : ١٤) .

داود النبي يسميه في مزمور الراعى « ماء الراحة » .
فيقول عن الله الراعى « إلى ماء الراحة يوردنى » أى إلى الماء الحى ، ماء الروح القدس . وما نتيجة هذا ؟ يقول « يرد نفسى ، يهدينى إلى سبل البر » . هذا هو بلا شك عمل الروح فى الإنسان .

يقوده فى الحياة الروحية وفى التوبة ... ويعطيه الفرح ...
الفرح بالخلاص ، أو كما يسميها المزمور « بهجة خلاصك »
(مز ٥٠) .

ويقول المزمور « مجارى الأنهار تفرح مدينة الله » (مز ٤٥) .
إنه الفرح الروحى ، أحد ثمار الروح القدس (غل ٥ : ٢٢) .
هذه المياه التى تفرّج مدينة الله تذكرنا بحقيقة أخرى عن الماء ،

نتذكرها ونحن نتقدم للقداس الإلهي للتناول ، بعد غسل أرجلنا بالماء .
هذه الحقيقة تعبر عنها كلمتان هما :

الماء والدم :

عندما طعن السيد المسيح بالحربة ، خرج من جنبه دم وماء
(يوحنا : ٣٤) . وقد شهد القديس يوحنا الحبيب بهذه الحقيقة في رسالته
الأولى (٤ : ٦) وقال أيضاً « والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة :
الروح والماء والدم . والثلاثة هم في الواحد » (١ يوحنا : ٨) .
ما أعجب هذه الآية في موضوع خلاصنا . فما سرها ومعناها ؟

معناها أن الخلاص الذي قدمه المسيح بالدم ، على الصليب ،
تناله أنت بالماء والروح في المعمودية ..

و يشهد لخلاصك هؤلاء الثلاثة : الروح والماء والدم .
بدون الدم لا حياة ، لأنه بدون سفك دم لا تحصل مغفرة
(عب ٩ : ٢٢) . ولكن كيف تنال هذا الخلاص المقدم لك بالدم ؟ يقول
السيد المسيح « من آمن واعتمد خلص » (مر ١٦ : ١٦) . وفي المعمودية
يولد من الماء والروح (يوحنا : ٥) ، وينال مغفرة الخطايا (أع ٢ : ٣٨) .

والماء والدم ، نراهما أيضاً في سر الإفخارستيا ...
حيث أن الكاهن في صلاة القداس الإلهي يمزج الخمر بالماء . ويقول
في صلوات القداس « وكذا الكأس بعد العشاء ، مزجها من خمر

وماء...» . وهذا الدم الذى نتناوله ممزوجا بالماء ، ننال الحياة . ونرى فى كل منها علاقة بالحياة ، فى الدم وفى الماء .

ولكن قبل تذكارات هذا التناول أود أن أختتم بكلمة عن اللقان عن غسل الأرجل...

لماذا غسل الأرجل ؟

السيد المسيح غسل أرجل تلاميذه . فلماذا غسل الأرجل بالذات ؟ بالإضافة إلى ما يمكن أن نقوله عن الإقتضاع فى غسل الأرجل ، أود أن أذكر تأملاً للقديس أوغسطينوس حول قول العروس فى سفر النشيد (نش ٥ : ٣) .

خلعت ثوبى ، فكيف ألبسه ؟ غسلت رجلى فكيف أوسخها ؟ قال إن الإنسان قد اغتسل بالمعمودية وتطهر وارتفع عن الماديات ، غير أنه طالما يحيا فى الأرض ، فإنه يعود ويتصل بالمادة ، بهذا التراب ، فتتسخ قدماه بهذا التراب الذى تطؤه قدماه .

لذلك فإن عذراء النشيد حينما دعاها الرب لخدمته ، خافت من هذه الإحتكاكات التى قد توجد فى مجال الخدمة ، والتى قد تشين الطهارة التى نالتها فى المعمودية وإذ خلعت هذا الثوب الذى هو الإنسان العتيق ، فكيف تعود إلى مشاكله . وقد غسلت قدميها اللتين داستا التراب من قبل ، فكيف تعود بهما إليه ؟!

السيد المسيح يطمئن النفس ، التي تدخل في مشاكل الناس لكي تجذبهم إليه ، فيقول لها : حتى إن اتسخت قدماك ، سأعود أنا وأغسلها كما غسلت أرجل التلاميذ وقلت لهم : ها أنتم طاهرون .

ملاحظة أخرى نقولها في غسل الأرجل :
إن غسل الأرجل ، تنوب عن غسل الإنسان كله .
والقديس بطرس الرسول لما طلب أن يغتسل كله ، قال له الرب
« الذي قد اغتسل ، ليست له حاجة إلا إلى غسل رجليه ، بل هو طاهر كله » (يوحنا : ١٣ : ١٠) .

والكاهن حينما يغسل يديه قبل القداس ، ويقول « أغسل يدي بالنقاوة ، وأطوف بمذبحك يارب » ، ليس هو في حاجة إلى غسل جسده كله . إنما عضو في الجسد ينوب عن الباقي .
كما نرشم عضواً واحداً في الجسد ، فيعتبر الإنسان كله قد نال هذا الرشم ...

وغسل الأرجل في لقان الخميس الكبير ، يرمز إلى النقاوة التي يجب أن تسبق تناول . فاهتموا بهذا الأمر .

ويعجبني في هذا المجال عبارة قالها صموئيل النبي ، حينما ذهب إلى بيت لحم . ودعا إلى الذبيحة بقوله :

تقدسوا ، وتعالوا معي إلى الذبيحة (١ صم ١٦ : ٥) .
لأنه لا يليق أن يذهب أحد إلى الذبيحة وهو غير تائب ، إنما يتقدس

أولاً ، يتطهّر بالتوبة ، ثم يتقدم إلى التناول .

والكنيسة تغسل أولاً أرجل الشعب ، وتقول لهم « أنتم الآن طاهرون » ثم تقدمهم للتناول .

ولكن ليس معنى هذا أن تأتى إلى الكنيسة يوم خيس العهد ، وتتقدم لغسل رجلك وأنت غير تائب . وإلا تسمع تلك العبارة المخيفة :

أنت (الآن) طاهرون ولكن ليس كلكم « (يوحنا ١٣ : ١٠) .
« ليس كلكم » ؟! لا يارب ، نريد أن نكون كلنا طاهرين .
إنضج علينا بزوفاك فنتطهر . واغسلنا فنبيض أكثر من الثلج .

نعم ، هذا هو هدف اللقان . الطهارة قبل التناول .
« تقدسوا ، وتعالوا معى إلى الذبيحة » .

أرجو لكم تناولاً مقدساً ، باستحقاق ، من السرائر المقدسة فى هذا اليوم العظيم ، وأن تكونوا كلكم طاهرين .

إن الطهارة التى يحملها رمز الماء ، توجد فى الكنيسة فى كل قداس ، وليس فى قداس اللقان فقط .

وبعد كل قداس ، قبل أن يصرف الكاهن الشعب ، يرشهم بماء مقدس ، فننذكر قول الرب فى سفر حزقيال النبى :

« وأرشد عليكم ماء طاهراً ، فتطهرون » (حزقيال ٣٦ : ٢٥) .



التوبة والتناول

نشكركم الله ، لأثنتنا ونحن خارج المحلة حاملين عاره ، فتح لنا الرب طريقاً إلى قدس الأقداس ، إذ فتح لنا هيكله المقدس ، وأدخلنا إلى حيث مذبحه الطاهر ، وأعطانا جسده ودمه الأقدس .

إنها بركة عظيمة أن يفكر فينا السيد الرب في أسبوع آلامه ، ويهتم بنا هكذا ، بعد أن منحنا الطهارة اللازمة ، في غسله لأرجلنا ...

وهكذا في يوم الاحتفال بالفصح القديم ، بكل ما يحمل من رموز ، قدم لنا الفصح الذي للعهد الجديد ...
الفصح الذي قال عنه القديس بولس « (لأن فصحنا أيضاً ، المسيح ، قد ذبح لأجلنا ...) » (١ كوه : ٧) .

وهكذا اجتمع فصحيان ، في يوم واحد ، وعلى مائدة واحدة . الرمز ، والمرموز إليه معاً . وأعطى السيد المسيح هذا السر العظيم لتلاميذه القديسين ، وقال لهم « (اصنعوا هذا لذكرى) » (لوقا : ٢٢ : ١٩) . وها نحن نصنع هذا اليوم ، حسب وصيته المقدسة .

احتفل المسيح مع تلاميذه بالعيد ، وهو في عمق آلامه .
فرح معهم بالعيد ، وعيد معهم ، وقال لهم « (شهوة أشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم ، قبل أن أتألم) » (لوقا : ٢٢ : ١٥) .
وسبّح معهم في تلك الليلة ، قبل أن يخرجوا إلى جبل الزيتون (مر ١٤ : ٢٦) (مت ٢٦ : ٣٠) . نعم احتفل معهم بالعيد ، وفرح معهم « (وهو عالم بكل ما يأتي عليه) » (يوحنا : ١٨ : ٤) .

حقاً ما أنبل القلب المتألم ، الذى يغنى مع القلوب الفرحة .
وفى فرحة عيد الفصح ، حدثهم عن جسده الذى يبذل عنهم ، ودمه
الذى يسفك عنهم (لوقا ٢٢ : ١٩ ، ٢٠) .

وهذا أعطى للتلاميذ عيداً جديداً ، وعهداً جديداً .
وأعطاهم فكرة أن جسده سيبذل ، ودمه سيسفك ، عنهم وعن
كثيرين لمغفرة الخطايا (مت ٢٦ : ٢٨) (مر ١٤ : ٢٤) . وقال إن هذا
هو الدم الذى للعهد الجديد ...

لم يتركهم يفاجأون بهذا الأمر ، أن يروا دمه يسفك أمامهم ، إنما قال
لهم قبل أن يكون ، حتى إذا كان يؤمنون (يوحنا ١٣ : ١٩) .

عجيب أن يتكلم أحد عن سفك دمه ، بهذا الهدوء ...
وأن يتكلم عن سفك دمه بطريقة موضوعية هكذا ، وسط مظاهر
الفرح والتسبيح ، وهو يحتفل مع تلاميذه بالعيد ...
ولكنه المسيح المحب الحنون ، الذى يفكر فى خلاص البشرية ، وليس
فى ذاته هو أوفى آلامه .

نلاحظ هنا أنه قال دمي الذى يُسفك وليس الذس سُفك .
وكذلك قال جسدى الذى يُبذل وليس الذى بُذل ... ذلك لأن دمه
قد سفك يوم الجمعة ، وجسده قد بذل يوم الجمعة ، اليوم الذى تم فيه
الخلاص ...

إن حديثه يوم الخميس ، كان عن الخلاص الذى سيتم يوم الجمعة .

والفصح الذى احتفل به يوم الخميس ، كان رمزاً للفصح الحقيقى الذى للعهد الجديد الذى يذبح عنا يوم الجمعة . وكأن الرب أراد أن يقول :

إن هذا الفصح الذى تأكلونه اليوم يرمز إلى جسدى الذى يبذل عنكم غداً ، وإلى دمى الذى يسفك عنكم غداً .

هذين اللذين اقدمهما لكم على صورة الخبز والخمر . وعلى هذه الصورة ستصنعون هذا السر لذكرى .

وعبارة « هذا اصنعوه لذكرى » أمر يحمل استمرارية هذا السر مدى الدهور « لأنكم كلما أكلتم هذا الخبز ، وشربتم هذه الكأس ، تخبرون بموت الرب إلى أن يجيء » (١ كور ١١ : ٢٦) . وعبارته « إلى أن يجيء » تحمل معنى أن ممارسة هذا السر العظيم تستمر حتى مجيئه الثانى ، أى إلى آخر الدهر .

قال إن هذا دمى الذى يسفك عن كثيرين لمغفرة الخطايا . المقصود بالكثيرين أولئك الذين يؤمنون به ، وبفدائه العظيم وفاعلية دمه لمغفرة الخطايا ، وكذلك يؤمنون بأسراره المقدسة ويمارسونها . ويشترط أيضاً فيهم أن يكونوا تائبين ، لأن الرب نفسه قد قال « إن لم تتوبوا ، فجميعكم كذلك تهلكون » (لوقا ١٣ : ٥) .

التوبة إذن لازمة لتناول المؤمنين ، كشرط هام للاستحقاق . هذا الاستحقاق للتناول الذى شرحه القديس بولس الرسول ... فقال فى الإصحاح ١١ من رسالته الأولى إلى كورنثوس :

« إذن أى من أكل هذا الخبز ، أو شرب كأس الرب ، بدون استحقاق يكون مجرمًا فى جسد الرب ودمه ... » .
« لأن الذى يأكل و يشرب بدون استحقاق ، يأكل و يشرب دينونة لنفسه ، غير مميز جسد الرب » .
« من أجل هذا فىكم كثيرون ضعفاء ومرضى ، وكثيرون يرقدون »
(١ كور ١١ : ٢٧ - ٣٠) .

إذن الأمر خطير ، وعقوبته خطيرة :
من يتناول بدون استحقاق ، يكون مجرمًا فى جسد الرب ودمه ، غير مميز جسد الرب ، قد تصل عقوبته إلى ضربات فى الجسد كالمرض والموت ... لذلك يقول الرسول :
« ولكن ليمتحن الإنسان نفسه » قبل التناول ...
« لأننا لو حكمنا على أنفسنا ، لما حكم علينا » (١ كور ١١ :
٢٨ ، ٣١) .

فإذا تعنى كلمة الاستحقاق إذن ؟
إن تحدثنا عن الاستحقاق بمعنى مطلق ، فلن يوجد أحد مستحقاً ... !
فن جهة هذا الاستحقاق ، كان القديس العظيم الأنبا رويس - وهو صاحب معجزات - يخاف جداً حين التقدم للتناول من السرائر المقدسة .
وكان يقول : إن الذى يتقدم للتناول ، ينبغى أن يكون داخله فى نقاوة أحشاء العذراء القديسة التى حملت المسيح داخلها ... !

من أجل ذلك يقول الأب الكاهن في (صلاة الاستعداد) ...
(وهي صلاة يقولها سراً قبل القداس) : أيها الرب العارف قلب كل
أحد... أنت يارب تعرف أني غير مستحق ولا مستعد ولا مستوجب لهذه
الخدمة المقدسة التي لك . وليس لي وجه أن أقرب وأفتح فأي أمام مجدك
المقدس . بل ككثرة رافاتك ، أغفر لي أنا الخاطيء ، وأمنعني أن أجد
نعمة ورحمة في هذه الساعة » ...

ومن أجل هذا يليق بكل إنسان ، أن يقول قبل تناول :

يارب ، ليس من أجل استحقاق ، وإنما من أجل احتياجي .
ليس من أجل استحقاق ، لكن من أجل علاجي .
معترفين كلنا بأننا غير مستحقين ، وكأننا نقول للرب : ليست لنا
الطهارة التي نتقدم بها إلى جسدك ودمك . فنحن لسنا طاهرين حتى
نتقدم للتناول ، إنما نحن نتقدم للتناول حتى نكون طاهرين .

نحن نتناول « طهارة لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » كما نقول في
بداية الأواشي في القداس الإلهي ...

إن الطهارة النسبية التي تناسبنا ، لكي نتقدم إلى تناول عملاً بقول
النبي « تقدسوا وتعالوا معي إلى الذبيحة » (١ صم ١٦ : ٥) ، تتركز في
أمور هامة منها :

الإيمان ، والتوبة ، والصلح مع الآخرين ، والطهارة الجسدية .

أما عن الإيمان ، فالمقصود به الإيمان المسيحي السليم ، بلا بدعة ولا

هرطقة . وكذلك الإيمان بهذا السر وفاعليته ، وبالشروط التي وضعها الله لإتمامه ، وحفظت بالتسليم الرسول .

أما عن التوبة ، فالمقصود بها على الأقل ترك الخطية والعزم الحقيقي على عدم الرجوع ، مع الإقرار بالخطية والندم عليها . وقد يتشكك البعض في موضوع التوبة . ونلاحظ أن البعض يمتنعون عن التناول ، بحجة أنهم مازالوا يخطئون بعد التناول ، إذن فهم لم يتوبوا ! وإذن فهم غير مستحقين ! ولهذا يكون عدم التناول أضمن لهؤلاء . وللرد على هؤلاء نقول :

إن التناول يعطى طهارة ، ولا يعطى عصمة ...
ولا يوجد أحد معصوماً ، مهما كان باراً وقديساً ، ومهما اعترف وتناول . هو لا يزال تحت الضعف إلى آخر يوم في حياته ، والضعف درجات تتفاوت من إنسان لآخر .
أما إكليل البر ، فإن الديان العادل يهبه للقديسين في ذلك اليوم (٢ تي ٤ : ٨) أى اليوم الأخير . حينئذ لا تكون خطية فيما بعد ...

تناول إذن . وفي كل تناول تأخذ قوة . حتى إن أخطأت ، يكون في قلبك إستحياء من جهة الخطية ، وندم عليها ، وإدانة لنفسك .
أما حالة الإستهتار فإنها تمنع من التناول . وكذلك حالة اللامبالاه ، وحالة العبودية للخطية ، التي يتناول فيها الإنسان وهو مُصر على الرجوع للخطية . كلها صور تدل على عدم التوبة .

أما عن الصلح مع الآخرين ، فقد أشار إليه الرب بقوله :
إن قدمت قربانك إلى المذبح . وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً
عليك ، فاترك هناك قربانك أمام المذبح . واذهب أولاً إصطلع مع
أخيك ... » (مت ٥ : ٢٣ ، ٢٤) .

إذن الصلح مع الناس لازم للتناول . لأنك لا يمكن أن تتقدم إلى
« ذبيحة الحب » وأنت خال من الحب . ولعلنا نذكر في هذا المجال أننا
نصلي صلاة الصلح قبل البدء في قداس القديسين . ونقول في تلك الصلاة
« إجعلنا مستحقين كلنا ياسيدنا ، أن نقبل بعضنا بعضاً بقبلة مقدسة ،
لكي ننال بغير انطراح في دينونة من موهبتك غير المائتة السمائية » .
إذن عدم المصالحة يطرح في دينونة ، إذا تناول الإنسان .

فما معنى المصالحة ؟ وهل يلزم الصلح مع جميع الناس .
المصالحة على الأقل تعني أن القلب خال من الخصام والكراهية . فإن
أمكن المصالحة بالفعل ، وإرجاع علاقات المودة يكون هذا هو الوضع
السليم والواجب . ولكننا في كل هذا ، نتذكر قول الرسول :
« إن كان ممكناً ، فحسب طاقتكم سالموا جميع الناس »
(رو ١٢ : ١٨) .

ذلك لأن هناك أنواعاً من الناس لا يمكن مسالمتهم . فالسيد المسيح لم
يسأله الكتبة والفريسيون والصدوقيون والكهنة والناموسيون ورؤساء
الشعب ، أو غالية هؤلاء . ولم يسأله أولئك الذين أسلموه حسداً . وما

كان المطلوب منه أن يذهب أولاً و يصطليح مع هؤلاء لتكون صلته صافية مع الآب .

وبولس الرسول ما كان ممكناً أن يترك قربانه قدام المذبح ، و يذهب أولاً فيصطليح مع إسكندر الحداد الذي فعل به شروراً كثيرة ، وقاوم كلمة الله جداً (٢ تي ٤ : ١٤ ، ١٥) .

لذلك قال الرسول في المصالحة ومسألة الآخرين « إن كان ممكناً » وقال « حسب طاقتكم » . ذلك لأن هناك حالات غير ممكنة ...

لا يحسب عليك إن كان عدم المصالحة راجعاً إلى الآخرين ، وليس إليك أنت . أو إن كان ذلك للفائدة الروحية ...

فقد تحاول أن تعيش في سلام مع البعض ، ولا تستطيع ، بسببهم ، وليس بسببك أنت . مثال ذلك الذين يحسدونك على تفوق فيك أو مواهب أعطاهما الله لك ، أو لشرقي قلوبهم ، كما حدث أن قايين حسد هابيل ، ورؤساء اليهود حسدوا المسيح . وقد قال المرتل في المزمور « أكثر من شعر رأسي ، الذين يبغضونني بلا سبب » (مز ٦٩ : ٤) . فالذين يبغضونك بلا سبب ، إن لم تستطع مصالحتهم فأنت معذور ، ولا يمنعك هذا من التناول . وكذلك الذين يضطهدونك (يو ١٦ : ٢) .

كذلك هناك أناس تباعد عنهم ، خوف العثرة ، حرصاً على روحياتك .

كأولئك الذين ذكرهم المزمور الأول « مجالس المستهزئين ، وطرق الخطاة » . و« كالمعاشرات الرديئة التي تفسد الأخلاق الجيدة » . لا يلزمك أن تترك قربانك ، وتذهب لتصطليح مع هؤلاء ...

أما عن ترك قربانك قدام المذبح ، وذهابك أولاً للصليح :
فهذا لازم في حالة من تكون قد أخطأت أنت إليه .

ولذلك يقول الرب « إن تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك » ، هو له شيء عليك ، أى أنك أنت قد أخطأت إليه . هذا ينبغي أن تذهب وتصلحه وتطيب قلبه من جهتك قبل التناول ، وتنفذ ما ورد في وصية الرب . وحتى إن كان قد أخطأ هو إليك ، فاذهب وعاتبه (مت ١٨ : ١٥) لإرجاع المحبة بينكما .

وعلى أية الحالات ، أنت هنا واحد من اثنين : إما إنك أنت المعتدى ، أو معتدى عليك .

إن كنت معتدياً ، أترك قربانك ، وصالح أخاك ، وأصلح خطأك .

وإن كنت معتدياً عليك ، عاتب لتصلح ، أو على الأقل اغفر لأن هناك أصنافاً من الناس لا ينفع العتاب معهم ، وقد يأتي بنتائج عكسية ، أو إنهم في موقف لا يمكنك فيه الذهاب إليهم لكي تعاتبهم . هؤلاء على الأقل اغفر لهم ، ولا تستبق في قلبك حقداً عليهم أو عداوة لهم ...

وتذكروا قول الكتاب « إغفروا يغفر لكم » (لو ٦ : ٣٧) .

هناك طلبية واحدة في الصلاة الربانية ، لم يتركها الرب تمر بدون شرح ، وهى « إغفر لنا كما تغفر نحن أيضاً » فقال « فإنه إن غفرتم للناس زلاتهم ، يغفر لكم أبوكم السماوى . وإن لم تغفروا للناس زلاتهم ، لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (مت ٦ : ١٤ ، ١٥) .

هذا من جهة المصالحة ، أما من جهة الإستعداد الجسدى ...
فيلزم أولاً الإستعداد بالصوم ، ولا يعنى من ذلك إلا المرضى ومن فى حكمهم ، الذين لهم حالة خاصة لا يمكن معها الصوم .
والكنيسة تفترض أن يكون الإنسان صائماً قبل تناول مدة لا تقل عن تسع ساعات ، بحيث لا يأكل شيئاً بعد منتصف الليل . وإن حدث استثناء ما فى هذه القاعدة ، لسبب ملزم ، يكون ذلك عن طريق أب الاعتراف ، أو بسماع من رئاسة الكهنوت ...

أما عن الطهارة الجسدية ، فيلزم الإمتناع عن المعاشرات الجسدية ، والبعد عن سيل الجسد . وهكذا يكون الإنسان طاهراً بالجسد ، كما يكون طاهراً بالروح . والوصايا كثيرة فى الكتاب بخصوص هذا الموضوع ، ليس مجالها الآن .

ولا نريد أن يمتنع أحد عن تناول بحجة عدم الإستعداد أو عدم الإستحقاق ، إلا لو كان ذلك رغباً عنه .

فلنحاول أن نستعد بالتوبة . والتوبة فى أيدينا . التوبة عمل يحدث داخل القلب ، فهو بإمكاننا إذن وليس خارجاً عنا . تستطيع الآن أن

تستجيب لصوت الله داخلك ، ولا تقس قلبك ، وترجع إلى الله ، مستفيداً من كل التأثيرات الروحية التي تقدمها لنا روحيات أسبوع الآلام . الأمر في يدك ، والكتاب يقول :

« إن سمعتم صوته ، فلا تقسوا قلوبكم » (عب ٣ : ١٥) .

فليراجع كل إنسان نفسه ، ويرجع إلى الله ، ويشترك في بهجة هذا اليوم المقدس ، الذي تعتبره الكنيسة عيداً ، لكي يتناول في قداس الخميس الكبير أو خميس العهد ، الذي أخذت كل قداسات السنة أصلها الأول منه .

وبكل نقاوة ممكنة ، فلنحاول أن نتقدم للتناول ...
لأنه ليس الجميع يستفيدون فائدة واحدة من التناول ...
إنما حسب إستعداد القلب من الداخل ، هكذا تكون الفائدة .

إن الرسل كلهم ، الذين تناولوا يوم الخميس الكبير ، لم يخرجوا جميعهم بفائدة روحية واحدة . فأكثرتهم حباً للرب ، أعنى القديس يوحنا الحبيب ، هو الوحيد الذي بعد التناول استطاع أن يتبع المسيح حتى الصليب ، ويسمع كلمة منه ، ويأخذ بركة ...

وبطرس المتحمس ، المندفع في حبه ، تبع المسيح جزءاً من الطريق ، ولكنه لم يكمل ، ثم أنكر الرب وندم ... مع أن القديس بطرس كان قد تناول من الرب كما تناول يوحنا تماماً ...

أما باقي التلاميذ ، فإنهم تناولوا أيضاً في نفس الوقت ، ولكنهم هربوا

ساعة القبض على الرب ، ولم يسيرا معه ولا مرحلة من الطريق ، إنما استسلموا لضعفهم .

يذكّرنا هذا بالبذار التي وقعت على أرض جيدة ...
وأعطت كلها ثمراً . البذار واحدة ، والزراع واحد . ولكن البعض في إثماره أعطى ثلاثين ، والبعض ستين والبعض مائة .

ليتكم تجهزون قلوبكم ، لكي تعطى هي أيضاً مائة ...
وتذكروا باستمرار البركات العظيمة الناتجة عن تناول .
سواء التي وردت منها في الكتاب المقدس ، أو التي وردت في صلوات
القداس الإلهي . فهذا الرب يقول في الإنجيل :

« أنا هو الخبز الحى الذى نزل من السماء . إن أكل أحد من هذا
الخبز يحيا إلى الأبد ... من يأكل جسدى و يشرب دمنى ، فله حياة أبدية ،
وأنا أقيمته فى اليوم الأخير ... من يأكل جسدى و يشرب دمنى ، يثبت فى
وأنا فيه » (يوحنا : ٦ : ٥٠ ، ٥٤ ، ٥٦) .

وفى القداس الإلهي « يُعطى عنا خلاصاً ، وغفراناً للخطايا ، وحياة
أبدية لكل من يتناول منه » ، ونقول أيضاً « نتناول من قدساتك طهارة
لأنفسنا وأجسادنا وأرواحنا » .

لماذا إذن نقصّر فى التقدم إلى هذه الطهارة ، وهذا الخلاص
والغفران ، والثبات فى الرب ، والحياة الأبدية .

السيد المسيح ، وهو ذاهب إلى الآلام ، منح الكنيسة نعمة التناول ،
وما ينتج عن التناول من بركات عديدة

وفي نفس الوقت أقام بهذا السر عهداً بيننا وبينه .

نعم ، لقد دخلنا بالتناول في عهد مع الرب ، أنه كلما أكلنا وشربنا
من هذه السرائر المقدسة ، أن نبشر بموته ، ونعترف بقيامته ، وأن نذكره إلى
أن يجيء .

نبشر بموته ، أي بموته عنا ، هذا الموت الذي نلنا به الخلاص والفداء ،
وأصبحنا مقدسين بدمه ، وقد طهرنا هذا الدم من كل خطية (١ يوحنا : ٧)
لأنه قال : خذوا اشربوا هذا هو دمي الذي للعهد الجديد ، الذي يسفك
عن كثيرين لمغفرة الخطايا (مر ١٤ : ٢٦) . وفي هذه الآية وضع الرب
أمرين :

١ - أن دمه هو لعهد جديد ، لذلك نقول (خميس العهد) .

٢ - أنه لمغفرة الخطايا ، أي للخلاص .

إنه حقاً أمر مفرح ، يليق بنا أن نبشر به ، أي نعلن لكل أحد عن هذا
الخلاص الذي نلناه .

فهل نحن حقاً أمناء على هذا العهد ...

هل نعتبر كل يوم نتناول فيه يوم عيد ، قائلين : هذا هو اليوم الذي
صنعه الرب ، فلنسفرح ولنبتهج فيه ، كما نعتبر يوم الخميس الكبير هذا
عيداً ...

وهل نذكر تماماً ، كيف طهرنا الرب بهذا الدم الذى يسفك مُنشرة
الخطايا ، وصيرنا به قديسين ، كما فى القداس :

القدسات للقديسين ...

لعل عبارة « القديسين » هذه ، تبكتنا من الداخل ، من جهة عدم
إستحقاقنا ، وأيضاً تدفعنا إلى قدام لكى نسلك كما يليق بأناس قد قدسهم
الرب بدمه وطهرهم من كل خطية ...
إذن ما أجل أن نبشر بموته ، الذى وهبنا كل هذا .

عبارة أخرى دخلنا فيها فى عهد مع الرب هى :
أن نذكر الرب ، إلى أن يجيء ...

ما معنى كلمة نذكره ؟ هل معناها أن يكون الرب فى أذهاننا
باستمرار ، كما يقول المرتل « جعلت الرب أمامى فى كل حين ، لأنه عن
يمينى فلا أتزعزع » أم معناها قول المرتل « محبوب هو اسمك يارب ، فهو
طول النهار تلاوتى » أم معناها أن نذكر الرب فى كل ما فعله من أجلنا :
فى إنخلائه ذاته ، وتجسده ، وتعليمه ، ومحبتة ، وآلامه ، وصلبه ، وقيامته ،
وصعوده إلى السماء وجلوسه عن يمين الآب ... بكل ما تحمل هذه
الذكريات من معان ومن روحيات .

أم المقصود أن نذكر كل هذا معاً ، ونظل نذكره إلى أن يجيء .

وفى عبارة « إلى أن يجيء » إيمان بالمجيء الثانى للرب .

بما يحمل هذا الإيمان من إنتظار لمجيء الرب ، واستعداد لهذا المجيء ،



وسهر دائم في هذا الإستعداد لأنه
« طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء
سيدهم يجدهم ساهرين » (لوقا ١٢ :
٣٧) .

ولا ننس أيضاً أن التناول هو
شركة للمؤمنين ... يجمعهم كلهم
بإيمان واحد ، حول مائدة واحدة ،
وكهنوت واحد .

فليعطنا الرب بركة هذا اليوم ،
وبركة هذا السر العظيم الذى
لخلاصنا .

آمين



اهتمام الرب بتلاميذه

أهم ما تميزت به علاقة السيد المسيح ربنا بتلاميذه ، هو تلك المحبة الكبيرة جداً ، التي بها نزل من السماء وأخلى ذاته ...
ولكن محبة السيد الرب ، ظهرت في أعمق صورة لها ، في الأسبوع الأخير ، أسبوع الآلام ...

تكفى هذه العبارة التي يقول فيها الإنجيل المقدس :
« إذ كان قد أحب خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يو ١٣ : ١) .

عبارة « حتى المنتهى » هذه ، يغوص فيها المتأمل ما شاء ، ولا يمكن أن يدرك أعماقها ...

كان الرب يعرف أن حادثة الصلب هذه ، يمكن أن تتعب تلاميذه ، إذ يجدون معلمهم العظيم ، المبرر في معجزاته ، محتقراً ويسمر بالمسامير ...
وأخيراً يموت وسط ضروب الاستهزاء ...

لذلك نرى الرب ، خلال هذا الأسبوع ، وقد أهتم جداً ...
كيف يعد تلاميذه - نفسياً وروحياً - لمواجهة موضوع صلبه .
كان هذا الموضوع يشغله جداً . فلم تشغله ذاته هو : لا عملية القبض عليه ... ولا محاكمته وما فيها من شهود زور ومن تهم ملفقة ، ولا الإهانات الكثيرة التي تصيبه من ضرب ولطم وشتائم ، مع عبارات التحدى والإستفزاز ... ولا نقله من مكان لآخر ليواجه حنان وقيافا ، وبيلاطس

وهيرودس ... ولم يشغله ما سيتحملة من آلام وعذابات في الشوك والجلد
والمسامير والصليب

إنما كان عمق قلبه في غيره . وكان إنشغاله بأمرين :
كيف يخلص العالم ، وكيف يحفظ تلاميذه في هذه التجربة .
كان يريد أن يحفظهم في تلك الساعات الرهيبة - عليهم لا عليه -
لا تهتز الكنيسة كلها إن اهتز إيمانهم به .
كان يريد أن يثبت إيمان هؤلاء التلاميذ ، سواء في أحداث ما قبل
الصليب . وأثنائه ، وبعد الصليب .

معروف أنه بعد الصليب والقيامة ، ظهر لهم لتثبيتهم .
ظهر لمريم المجدلية ، ولبطرس ، ولتلميذى عماوس ، وللتسوة
القديسات ، وللأحد عشر ، وظهر لأكثر من خمسمائة أخ ، كما ظهر فيما بعد
لشاول الطرسوسى . وقضى مع تلاميذه أربعين يوماً بعد القيامة ، يثبتهم
ويحدثهم عن الأمور المختصة بملكوت الله ...
كل هذا بعد القيامة . ولكن قبل الصليب كيف ثبتهم ؟

١ - قبل الصليب بستة أيام ، أقام لعازر من الموت (يوا ١١) .
وذلك بعد أربعة أيام من موت لعازر ، بعد أن قيل عنه إنه أُنْتِن .
وكان لهذه المعجزة العظيمة دوى كبير ، فأمن به كثيرون وأعطى بها
لتلاميذه فكرة عملية عن القيامة من الموت ، حتى بعد فقد كل أمل ... إنها
معجزة تسند إيمانهم ، من جهة قدرته ، ومن جهة قيامته إن رأوه يموت ...

٢ - وقبل إقامة لعازر ، وهب البصر للمولود أعمى (يوحنا ٩) .

وهي معجزة واضحة تدل على لاهوته ، إذ فيها القدرة على الخلق ، وقد خلق عينين من طين . وأحدثت هذه المعجزة أيضاً دويلاً ، حتى أن ذلك الأعمى نفسه قال بعد إبصاره « منذ الدهر لم يسمع أن أحداً فتح عيني مولود أعمى » (يوحنا : ٣٢) . وإنتهت المعجزة بأن هذا الأعمى آمن أن السيد المسيح هو ابن الله وسجد له (يوحنا : ٣٨) .

أراد السيد بهاتين المعجزتين ، أن يسند إيمان التلاميذ أيضاً .

فبالإضافة إلى عمل المحبة من جهة المولود أعمى ، ومن جهة لعازر وأسرتيه ، كانت لهاتين المعجزتين نتائج أخرى : بعضها في نفس الوقت إذ آمن كثيرون . وبعضها ظل مختزناً إلى وقت الصلب ، لتقوية إيمان من يضعفون ...

وماذا أيضاً ؟ ماذا فعله أيضاً لتقوية إيمان تلاميذه ؟

٣ - أظهر لهم سلطانه أثناء تطهيره الهيكل .

وذلك في يوم أحد الشعانين ، اليوم التالى لمعجزة إقامة لعازر من الموت . دخل أورشليم كملك ، والشعب كله يهتف له ، ويستقبله بأغصان الزيتون وسعف النخل .

وفي تلك المناسبة قام بتطهير الهيكل في قوة وسلطان ، وهو يقول عنه « بيت أبى » ، ويوبخ الكهنة ورؤساءهم بقوله « جعلتموه مغارة لصووس » ... ولم يستطع أحد أن يقاومه ... كان أقوى من كل مقاومة .

كان سيد الموقف . وكل عبارة سمعها رد عليها بقوة وبحجة لا تحتل
الجدل .

وكل هذا رفع معنويات التلاميذ . وماذا أيضاً ؟

٤ - بنفس القوة وبخ جميع القيادات اليهودية .

وبخ الكهنة بمثل الكرامين الأردباء . وقال لهم « ملكوت الله ينزع
منكم ، ويعطى لأمة تصنع ثماره » (مت ٢١ : ٤٣) .

وأبكم الصدوقيين في موضوع قيامة الأموات (مت ٢٢ : ٣٤) .
وكذلك الناموسيين أيضاً . وبخ الكتبة والفريسيين في عنف ، قائلاً
« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون » (مت ٢٣) .

وكان أقوى من الكل ، حتى قال عنه متى البشير : « فلم يستطع أحد
أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله البتة » (مت ٢٢ :
٤٦) .

وكل ذلك كان يقوى معنويات التلاميذ ، ويشعرهم بقوة معلمهم ،
ويعدهم للتجربة المقبلة ... وماذا أيضاً ؟

٥ - لعن شجرة التين غير المثمرة ، فبيست في الحال .

وكانت هذه الشجرة ، ترمز إلى الرياء ، لوجود مظهر حياة ، ورق
أخضر ، ولكن لا ثمر . وبلعنيتها لعن الرياء . ودل الرب بهذا على لاهوته
وسلطانه على الطبيعة . فبكلمة منه يبست الشجرة ...

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين : كيف يبست التينة في
الحال » (مت ٢١ : ٢٠) . فأعطاهم الرب درساً في الإيمان ، وقال لهم

« الحق أقول لكم إن كان لكم إيمان ، ولا تشكون ، فلا تفعلون أمر التينة فقط ، بل إن قلتم أيضاً لهذا الجبل إنتقل وإنطرح في البحر ، فيكون » ...
« إن كان لكم إيمان ولا تشكون » عبارة ليتها تثبت معهم وقت صلب معلمهم وموته ودفنه ... وماذا أيضاً ؟

٦ - غسل الرب أرجلهم ، رمزاً للنقاوة .
وبعد أن غسل أرجلهم ، قال لهم : أنتم الآن طاهرون ... (يوحنا : ١٣ : ١٠) ، لعلهم بهذه الطهارة يشبتون ، بالقوة التي أخذوها من غسل الرب لأرجلهم ... ماذا أيضاً ؟
٧ - أعطاهم أيضاً سر الإفخارستيا ...

منحهم جسده ودمه الأقدس ، لكي يمنحهم قوة روحية بهذا السر العظيم ، إذ سبق أن قال لهم « من يأكل جسدي ويشرب دمي ، يشبث فيّ وأنا فيه » (يوحنا : ٥٦) . إذ قد كان هذا سرّاً للثبات في الرب ، ينفع التلاميذ في ساعة التجربة . إذ كان الرب يطعم طبيعتهم الضعيفة ، بطبيعة أقوى وأسمى منها ...

وفي نفس الوقت كان يمهّد أفكارهم لقبول الخبر « هذا هو جسدي الذي يبذل عنكم ... و... دمي الذي يسفك عنكم » (لوقا : ١٩ ، ٢٠)
« الذي يسفك من أجل كثيرين » (مرقس : ١٤ : ٢٤) « الذي يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » (متى : ٢٦ : ٢٨) .

عبارة « سفك دمي » هذه ، كانت تمهيداً ، حتى لا يفاجأوا بما حدث في نفس الليلة وفي ثاني يوم .

٨ - وهكذا كاشفهم بالحقيقة حتى لا يفاجأوا ...

قال لهم أكثر من مرة « أنه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم ، ويتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ، ويقتل ، وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ١٦ : ٢١) وأيضاً قال لهم « ها نحن صاعدون إلى أورشليم ، وإبن الإنسان يسلم إلى رؤساء الكهنة والكتبة ، فيحكمون عليه بالموت ، ويسلمونه إلى الأمم لكي يهزأوا به ويجلدوه ويصلبوه . وفي اليوم الثالث يقوم » (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) .

وهكذا كان يربط في حديثه الصلب والقيامة ، لتعزيتهم ... وقبل الفصح بيومين ، كرر عليهم نفس الخبر فقال « تعلمون أنه بعد يومين يكون الفصح ، وإبن الإنسان يُسلم ليُصلب » (مت ٢٦ : ٢) . وفيما هم يتناولون الفصح معه ، قال لهم « واحد منكم سيسلمني » .

٩ - وبعد الفصح والعشاء الرباني ، جلس معهم جلسة طويلة . هذه الجلسة سجلها القديس يوحنا في أربعة أصحاحات من إنجيله (١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦) ، كلمهم فيها بصراحة كاملة ، وعزاهم بكلام كثير ، فيه حديث عن القيامة ، وعن الروح القدس وعمله فيهم ، وفيه نصائح لهم . ونرجو أن نعرض لهذا الحديث بالتفصيل .

١٠ - وظل إهتمامه بهم ، حتى أثناء القبض عليه .

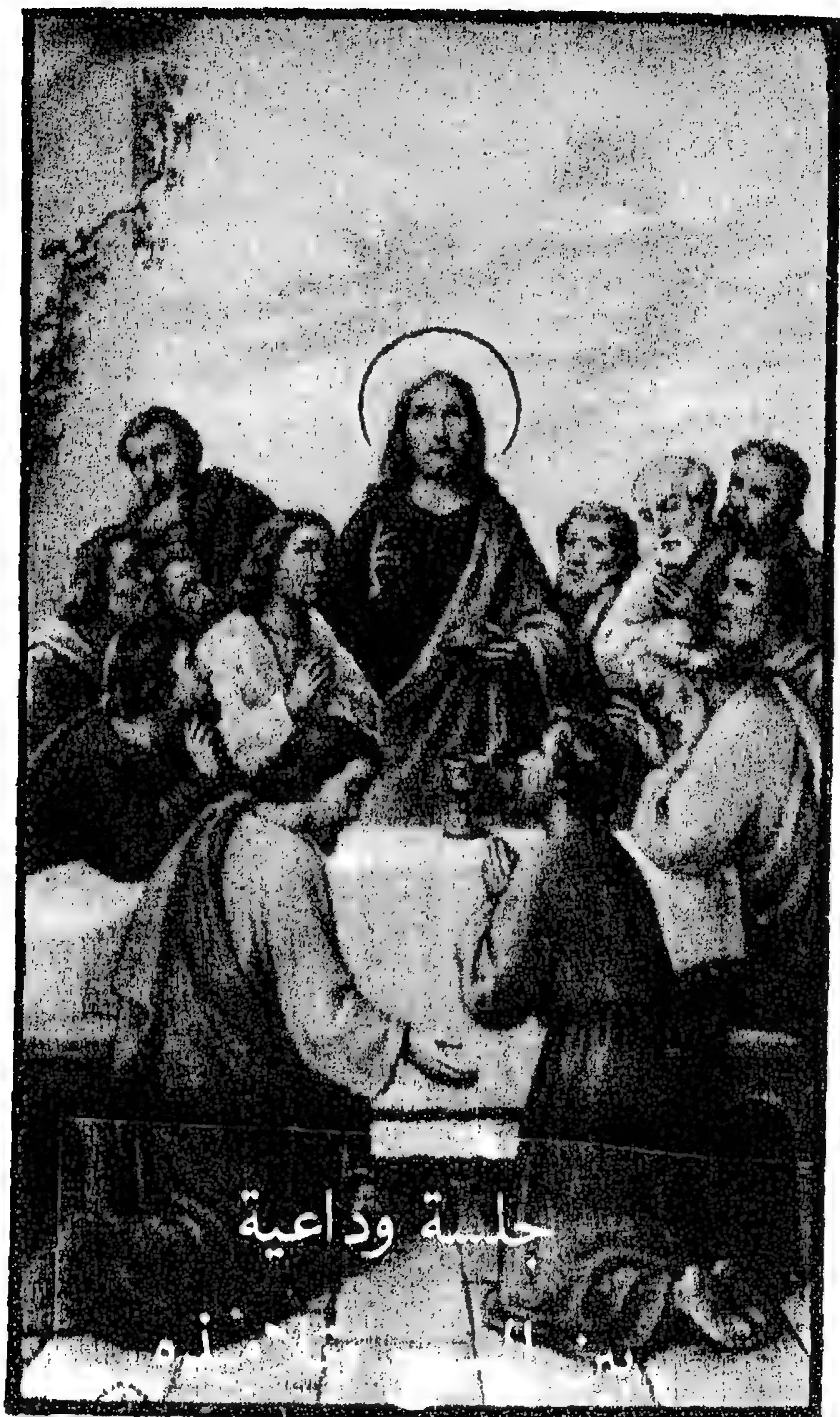
فعندما جاء الجند ليقبضوا عليه ، قال لهم « إني أنا هو . فإن كنتم تطلبونني ، دعوا هؤلاء يذهبون ... ليتم القول الذي قاله » إن الذين

أعطيتني ، لم أهلك منهم أحداً » (يوحنا : ٨ ، ٩) .
وهكذا كان مشفقاً على تلاميذه ساعة القبض عليه ، مهتماً بهم أكثر
من اهتمامه بنفسه . يهمة أن يكونوا طلقاء ، وأن يفلتوا من الجند . أما هو
فليسلم نفسه ويقبض عليه ...

١١ - حق وهو على الصليب أيضاً .
إهتم بخاصته كذلك ، وهو في عمق آلامه ...
فلم يترك أمه العذراء وحيدة ، إنما عهد بها إلى تلميذه الحبيب يوحنا .
« ومن تلك الساعة أخذها التلميذ إلى خاصته » (يوحنا : ١٩ : ٢٧) . وكان
في ذلك بركة لهذا التلميذ ، إذ اهتم به الرب ، ووهبه أمّاً روحية ، هي
أقدس أم وأحن أم ، في هذا العالم كله ...

ومن إهتمام المسيح بتلاميذه حديثه الوداعي لهم .
١٢ - وأيضاً صلاته الطويلة من أجلهم .
فلنتناول هذين الموضوعين بتفصيل أكثر ...





جلسة وداعية

بمناسبة خروجه من الدنيا

في الحقيقة إن الإنسان لابد أن يتردد كثيراً قبل أن يتكلم عن جلسة وداعية بين المسيح وتلاميذه . فنسأل أولاً :

أحقاً ودع المسيح تلاميذه ؟

الوداع معناه الترك . والمسيح لم يتركهم مطلقاً ، هذا الذي قال لهم « حيثما اجتمع إثنان أو ثلاثة بإسمي ، فهناك أكون في وسطهم » (مت ١٨ : ٢٠) . وهو الذي قال لهم أيضاً قبيل الصعود « ها أنا معكم كل الأيام وإلى إنقضاء الدهر » (مت ٢٨ : ٢٠) . ولكنه على أية الحالات كان تركاً بالجسد ، وإلى حين .

ومع ذلك كان الأمر صعباً عليهم . وكان الرب يعرف هذا ، لذلك جلس معهم يخفف عليهم ويعزهم .

كان يعرف أن هذا الأمر صعب عليهم . و يظهر هذا من قوله لهم « لأنني قلت لكم هذا ، قد ملأ الحزن قلوبكم » (يو ١٦ : ٦) . فما هو هذا الأمر الذي قاله لهم فحزنوا ؟ إنه قوله لهم « أما الآن فأنا ماضٍ إلى الذي أرسلني » .

كان لابد أن يواجههم الرب بالواقع الذي سيحدث ...

ثم بعد ذلك يعالج تأثير هذا على مشاعرهم .

أما عن هذا الواقع ، فقال لهم « يا أولادي ، أنا معكم زماناً قليلاً

بعد . وكما قلت لليهود : « حيث أذهب أنا لا تقدرُونَ أنتم أن تأتوا »
(يوحنا : ١٣ : ٢٣)

وكان لابد أن يرد على سؤالهم الذى يقولونه :
« إلى أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٣ : ٣٦) .

« لسنا نعلم أين تذهب ؟ » (يوحنا : ١٤ : ٥)

كان لابد أن يجيب المسيح ، وبصراحة . فماذا أجاب ؟
قال : إني ذاهب إلى الآب (يوحنا : ١٦ : ١٦) .

وبعد قليل لا تبصروننى (يوحنا : ١٦ : ١٧) . وماذا أيضاً ؟

إنكم ستبكون ، والعالم يفرح (يوحنا : ١٦ : ٢٠)

وكان لابد أن يقول لهم حقيقة أخرى ، بالإضافة إلى ذهابه وهى :
إن كانوا قد اضطهدونى ، فسيضطهدونكم » (يوحنا : ١٥ : ٢٠) .

ولتعزيتهم أعطاهم الرب رجاء فى كل شىء .

فمن جهة ذهابه ، سيرونه مرة أخرى ...

إن عبارة « لا تبصروننى » أو « لا تروننى » هى نصف الحقيقة ،

النصف المؤلم . فما هو النصف الآخر المعزى ؟

قال لهم الرب « بعد قليل لا تبصروننى . ثم بعد قليل أيضاً تروننى »

(يوحنا : ١٦ : ١٧) . « بعد قليل لا يرانى العالم . وأما أنتم فتروننى » (يوحنا : ١٤ :

١٩) . معنى أن العالم لا يراك ، إنك ستموت . فكيف نراك نحن إذن ؟

يجيب المسيح عن هذا الفكر . بقوله « إني أنا حي » « فى ذلك اليوم

تعلمون إني أنا في أبي ، وأبي فيّ » « الذي يحبني ... أظهر له ذاتي »
(يوحنا : ١٩-٢١) .

أعطاهم إذن فكرة عن قيامته ، وإنهم سيرونه .
كان قد قال لهم إن ابن الإنسان سيصلب ، وفي اليوم الثالث يقوم
(مت ١٦ : ٢١) (مت ٢٠ : ١٨ ، ١٩) . وهو اليوم يؤكد لهم هذه الحقيقة
في عبارات كلها حب :

« لا أترككم يتامى . إني آتي إليكم » (يوحنا : ١٨) .
نصف الحقيقة « إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح » . فما هو
النصف الآخر المضيء إذن ؟ أنه « ستحزنون ، ولكن حزنكم سيتحول
إلى فرح ... سأراكم أيضاً ، فتفرح قلوبكم . ولا ينزع أحد فرحكم منكم »
(يوحنا : ٢٠ ، ٢٢) .

عجيب هو الرب ، إنه في وداعة ، يتحدث عن الفرح .
كان يؤله جداً حزن تلاميذه بسبب فراقه لهم . إنه يعرف تماماً مقدار
محبتهم له . أما عن محبته هو ، فيكنى قول الكتاب عنها « إذ كان قد أحب
خاصته الذين في العالم ، أحبهم حتى المنتهى » (يوحنا : ١٣ : ٢) . وقلب الرب
حساس جداً من جهة راحة هؤلاء الذين يحبهم ويحبونه . لذلك يقول لهم
هنا : لا أترككم يتامى .

عبارة « يتامى » هنا ، تشعرهم بأنهم أولاده .
وهو في هذه الجلسة يستخدم أيضاً تعبير « يا أولادي »

« يا أولادى ، أنا معكم زماناً قليلاً بعد » (يوحنا : ١٣ : ٣٣) .
أنتم أولادى ، وأنا أعلم أنكم تتيتمون من بعدى ، ولكنى لا أترككم
يتامى ، ولا أترككم حزاني ، سأتى إليكم . سأراكم فتنرح قلوبكم . لا
أترككم مطلقاً للحزن ، فأنا لا أحتمل حزنكم ...
أريد فى هذا الوداع الصعب ، أن أفرح قلوبكم ، وأقول لكم إن
حزنكم هو إلى حين ، وحين بسيط ، فبعد قليل ستروننى .

أنتم لست فقط أولادى ، بل أحبائى أيضاً .
« أنتم أحبائى ، إن فعلتم ما أوصيتكم به . لا أعود أسمىكم عبداً ...
لكنى قد سميتكم أحباء » (يوحنا : ١٤ ، ١٥) . أنا سأضع نفسى عنكم
« ليس لأحد حب أعظم من هذا ، أن يضع أحد نفسه عن أحبائه »
(يوحنا : ١٣) . « كما أحببى الآب أحببتكم أنا . إثبتوا فى محبتى »
(لوقا : ١٥ : ٩) .

جميل أن تكون جلسة الوداع ، هى حديث حب كهذا .
ويضيف الرب فى تعزيتهم لهم تشبيهاً جميلاً ، يشعرهم أنه لا
إنفصال بينه وبينهم ، وهو علاقة الكرمة بالأغصان .
فيقول لهم « أنا هو الكرمة ، وأنتم الأغصان » (يوحنا : ١٥ : ٥) . إننا
معاً ، « أنتم فى ، وأنا فيكم » علاقتى بكم ، كعلاقة الرأس بالجسد . لستم
غرباء عني . إثبتوا فى . وأنا فيكم ، كما يثبت الغصن فى الكرمة ، حينئذ
لا يكون وداع بينى وبينكم ، لأنه لا يكون فراق أبداً .

ما أجمله تشبيهه ، كله حب وعاطفة وعزاء ، في ساعة كهذه .
مبارك أنت يارب في كل تعزياتك الجميلة ...

يضيف أيضاً بأن ذهابه هو للفائدة وللفرح .
فيقول لتلاميذه « لا تضطرب قلوبكم ولا تجزع . سمعتم أني قلت
لكم اني ماض ، ثم آتي إليكم . لو كنتم تحبونني ، لكنتم تفرحون لأنني قلت
أمضي إلى الآب » (يوحنا : ١٤ : ٢٧ ، ٢٨) .
نعم ، لأنه بهذا تنتهي عبارة « أنخلي ذاته » (في ٢ : ٦ ، ٧) . هناك
سأرجع إلى ما قبل إخلاء الذات ، وذلك أعظم ... لذلك إن كنتم تحبونني ،
ستفرحون اني أمضي .

ثم أن ذهابي نافع لكم ، لأعد لكم مكاناً .
« لا تضطرب قلوبكم ... في بيت أبي منازل كثيرة ... أنا أمضي لأعد
لكم مكاناً . وإن مضيت وأعددت لكم مكاناً ، آتي أيضاً وأخذكم إلي ،
حتى حيث أكون أنا ، تكونون أنتم أيضاً » (يوحنا : ١٤ : ١-٣) . نعم ، سنكون
معاً باستمرار .

ولكن وجودنا الدائم معاً ، سيكون هناك وليس هنا .
لا تضطرب قلوبكم ، فهذا أفضل . أما هنا ، فإني أترك لكم سلامي
« سلامي أترك لكم . سلامي أنا أعطيكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٧) إنه سلام من
نوع آخر ، سلام روحي ثابت ، ليس كالسلام الذي يعطيه العالم ...
لكن كيف يكون لنا سلام يارب ، وأنت بعيد عنا ؟

هنا الفائدة الثالثة من ذهابي . أرسل لكم الروح القدس :

وقد أفاض الرب في حديثه عن هذه النقطة بالذات :

فقال لهم إن الروح القدس هذا ، هو الروح المعزى ، الذى سيكون سبب عزاء لهم . وقد كرر عبارة (المعزى) أكثر من مرة . فقال لهم : « لأنه إن لم أنطلق ، لا يأتيكم المعزى . ولكن إن ذهبت أرسله لكم » (يوحنا : ١٦ : ٧) ، لذلك :

« أقول لكم الحق ، إنه خير لكم أن أنطلق » (يوحنا : ١٦ : ٧) .

« وأما المعزى الروح القدس الذى يرسله الآب باسمي ، فهو يعلمكم كل شيء ، ويذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٦) « ومتى جاء المعزى الذى سأرسله أنا إليكم من الآب ، روح الحق الذى من عند الآب ينبثق فهو يشهد لى ، وتشهدون أنتم أيضاً » (يوحنا : ١٥ : ٢٦) « ومتى جاء ذاك ، روح الحق ، فهو يرشدكم إلى جميع الحق » (يوحنا : ١٦ : ١٣) . وأضاف الرب فى تعزيتة لتلاميذه ، بأن هذا الروح المعزى سيمكث معهم إلى الأبد ، وسيكون فيهم (يوحنا : ١٦ ، ١٧) .

هذا يذكرنا أيضاً بما قاله لهم قبيل الصعود « ولكنكم ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) ... كان الحديث عن الروح القدس تعزية كبيرة للتلاميذ ...

نلاحظ فى وداع المسيح لتلاميذه إنه كان صريحاً معهم

أراد أن يعزهم على أساس الحق والواقع ، ويقوى قلوبهم ولكن بدون إخفاء الحقائق ، كما كان صريحاً معهم من جهة أخطائهم ومن جهة

المتاعب التي ستصادفهم ، بعد صلبه .

كان هذا نافعاً لهم من جهة الإيمان ، واثقاً المفاجأة .
قال لهم « أقول لكم الآن قبل أن يكون ، حتى متى كان تؤمنون »
(يوحنا : ١٩) (يوحنا : ١٤ : ٢٩) « كلمتكم بهذا حتى إذا جاءت الساعة ،
تذكروني أني قلت لكم » (يوحنا : ١٦ : ٤) .

كان صريحاً معهم في ذكر ما سيصدر عنهم من أخطاء .
قال لهم إن الشيطان مزع أن يغربلكم ، وإنكم كلكم تشكون في
في هذه الليلة ، وقال تأتي ساعة وقد أتت الآن تفرقون فيها كل واحد إلى
خاصته وتتركوني وحدي . وقال لبطرس ستتكربي ثلاث مرات . وحتى
يهوذا قدم له الرب تحذيرات . فقال واحد منكم سيسلمني ، وحدد ذلك
بقوله الذي أغمس أنا اللقمة وأعطيه ، وقال له موبخاً « ما أنت عمله
فاعمله بأكثر سرعة (يوحنا : ١٣ : ٢١ ، ٢٦ ، ٢٧) .

وكان صريحاً معهم في ذكر المتاعب التي سيتعرضون لها .
فقال لهم « إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم » « إن كان
العالم يبغضكم فاعلموا أنه قد أبغضني قبلكم » « لأنكم لستم من العالم ...
لذلك يبغضكم العالم » (يوحنا : ١٥ : ١٨ - ٢٠) بل قال لهم أكثر من هذا
« سيخرجونكم من المجمع ، بل تأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه
يقدم خدمة لله » (يوحنا : ١٦ : ٢) . حقاً إن الصراحة في هذه الأمور أفضل .
لذلك قال لهم في هذا المجال « قد كلمتكم بهذا لكي لا تعثروا .

إن السيد المسيح واضح في هذا الأمر منذ البداية ، منذ حديثه عن الباب الضيق وعن حمل الصليب . ولكنه أيضاً يخلط الحديث عن الضيقة بالعزاء ، فيقول لهم « في العالم سيكون لكم ضيق . ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم » (يوحنا : ١٦ : ٢٣) . وما دام قوتي معكم ستغلبونه ...

نلاحظ في هذه الجلسة الوداعية ، إنه أعطاهم وعوداً كثيرة : بعضها من جهة ظهوره لهم مثل « أنا آتى إليكم » « بعد قليل ترونى » « أعد لكم مكاناً ... آتى وأخذكم إلئى ... » ... وعود أخرى من جهة إرساله الروح القدس إليهم ، وعمل هذا الروح فيهم ومكوته معهم إلى الأبد ... وأيضاً وعود أخرى من جهة طلباتهم ، فقال لهم « كل ما طلبتم من الآب بإسمى يعطيكم » « اطلبوا تأخذوا ليكون فرحكم كاملاً » (يوحنا : ١٦ : ٢٣ ، ٢٤) « مهما سألتكم بإسمى ، فذلك أفعله ... إن سألتكم شيئاً بإسمى فإنى أفعله » (يوحنا : ١٤ : ١٣ ، ١٤) .

ولعل من الوعود المعزية جداً ، والعجيبة أيضاً ، قوله لهم : « الحق الحق أقول لكم : من يؤمن بى ، فالأعمال التى أنا أعملها ، يعملها هو أيضاً ، ويعمل أعظم منها » (يوحنا : ١٤ : ١٢) .

وفى جلسته الوداعية معهم ، زودهم بوصايا .
فن جهة علاقتهم ببعضهم البعض ، أعطاهم وصية واحدة لا غير وهى « هذه هى وصيتى ، أن تحبوا بعضكم بعضاً » . وإلى أى حد يارب يكون هذا الحب ؟ فيكمل وصيته قائلاً : « ... أن تحبوا بعضكم بعضاً ، كما

أحببتكم» (يو ١٥ : ١٢) . ومن يستطيع هذا ، أن نحب بنفس الحب الذى أحببتنا به ، حتى بذلت ذاتك عنا ، الحب الذى قيل فيه «... أحب خاصته الذين فى العالم ، أحبهم إلى المنتهى» (يو ١٣ : ١) .

ولكن الرب يكرر نفس الوصية ، فى نفس الجلسة الوداعية : « وصية جديدة أنا أعطيتكم ، أن تحبوا بعضكم بعضاً . كما أحببتكم أنا ، تحبون أنتم أيضاً بعضكم بعضاً » (يو ١٣ : ٣٤) ويعتبر الرب أن هذه المحبة التى مثل محبته ، علامة التلمذة له ، فيقول « بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذى ، إن كان لكم حب ، بعضكم لبعض » (يو ١٣ : ٣٥) .

إنه مستوى سامى جداً من الحب ، يطلبه الرب منا .
نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا هو . وكيف أحبنا هو ؟ يعمق الرب مفهومنا لهذا الحب ، فيقول « كما أحنى الآب ، كذلك أحببتكم أنا . أثبتوا فى محبتى » (يو ١٥ : ٩) . أصارحك يارب أن الأمر قد ازداد صعوبة فى الفهم ، أو صعوبة فى التنفيذ . وهنا نعرض وصية المحبة كما أعطيت لنا ، فى ثلاث نقاط :

أ- الآب أحب الابن (وهى محبة غير محدودة بلا شك) .
ب- والابن أحبنا ، بنفس المحبة (غير المحدودة) التى أحبه بها الآب .

ج- والمطلوب أن نحب بعضنا بعضاً بهذا الحب .

ها مطانية يارب أمامك . أعترف أننا لم نصل ولن نصل مطلقاً إلى مستوى هذا الحب . حقاً إنها وصية جديدة .

جديدة في مفهومها ، وجديدة في مستواها ، وجديدة في هذا التشبيه الذى شبهت به ... إننا مهما أحببنا ، ومهما بذلنا ، فلن نصل إلى محبة الابن لنا ، أو إلى محبة الآب للابن . لهذا نتضع أمامك ، ونطلب أن تسكب فينا هذا الحب من عندك ، من الروح القدس ، لأن الطاقة البشرية وحدها لا تستطيعه ... نحب بعضنا بعضاً ، كما أحبنا ! وكيف ذلك ؟

لقد أحب المسيح تلاميذه ، فى محبتهم له ، وفى ضعفاتهم . كما أحبهم وهم يحبونه ، أحبهم أيضاً فى خوفهم وفى ضعفهم وفى هروهم . قال لبطرس ستنكرنى ثلاث مرات . ولم يقل ذلك فى إنفعال ، ولا فى غضب ، إنما فى حب وإشفاق ، وهو يقول معها « طلبت من أجلك لكى لا يفنى إيمانك » . إنه يحبنا فى سقطاتنا وضعفاتنا ، لكى يخلصنا من هذه السقطات والضعفات ... « فيما نحن خطاة ، مات المسيح لأجلنا » (روم ٥ : ٨) .

وفى البستان ، حينما تركوه وحده وناموا ، قابل أيضاً ضعفهم بإشفاق ، ونسب الضعف إلى الجسد فقط ، وقال عنهم « الروح نشيط ، أما الجسد فضعيف » (مت ٢٦ : ٤١) « ناموا الآن واستريحوا » .

وسياتى الوقت الذى أعطى فيه نشاطاً للروح والجسد معاً ... أنتم الآن ضعفاء . هذا حق . لذلك لا تبرحوا أورشليم حتى تلبسوا قوة من الأعلى » (لوقا ٢٤ : ٤٩) . وهذه القوة ستنالونها حين يحل الروح القدس عليكم ، وحينئذ تكونون لى شهوداً » (أع ١ : ٨) .

أنا لا أحتقر الضعف ، إنما في حبي أمنح القوة .

هذه محبتي لكم . فإذا ستكون محبتكم لي ؟

سأضرب لكم مثلاً لهذه المحبة « أنا الكرمة ، وأنتم الأغصان »

(يوه ١٥ : ٥) . إذن نحبك يارب ، كما يحب الغصن كرمته ، إذ لا حياة له

بدون الثبات في الكرمة . إن انفصل عنها يجف ويموت .

لذلك قال لهم الرب في جلسته الوداعية « اثبتوا في محبتي » « الذي

يثبت فيّ وأنا فيه ، هذا يأتي ثمر كثير » (يوه ١٥ : ٥) .

وماذا عن الذي لا يثبت ؟ قال الرب لهم « إن كان أحد لا يثبت

فيّ ، يطرح خارجاً كالغصن ، فيجف ، ويجمعونه ويطرحونه في النار

فيحترق » ولذلك « اثبتوا فيّ ، وأنا فيكم » « اثبتوا في محبتي » (يوه ١٥ :

٤ ، ٥) . ولعل التلاميذ يسألون :

كيف نستطيع يارب أن نحبك ، ونثبت في محبتك .

يجيبهم الرب في هذه الجلسة الوداعية « أن حفظتم وصاياي تثبتون في

محبتي ، كما إني أنا قد حفظت وصايا أبي وأثبت في محبته » (يوه ١٥ : ١٠) .

إذن فالمحبة ليست مجرد عاطفة ، ولا يليق بنا أن نحب بالكلام

واللسان ... » (١ يوه ٣ : ١٨) .

فحبتنا للرب ، تظهر في حفظنا لوصاياہ ...

وهنا ذكر المسيح تلاميذه بوصاياہ ، بكل ما سمعوه منه قبل ، لكي

يعملوا به . ولكن ماذا يحدث إن نسوا ما قاله لهم ؟ لقد طمأنهم من جهة

هذا أيضاً . وقال لهم : سأرسل لكم الروح القدس المعزى . وذلك « يذكركم بكل ما قلته لكم » (يوحنا : ١٤ : ٢٦) .

لقد إهتم المسيح بتلاميذه ، الذين ائتمنهم على نشر الإنجيل .
بذل كل الجهد لكى يثبتهم ، لأن فى ثباتهم ثباتاً للكنيسة كلها ،
وثباتاً للإيمان الذى سيجاهد هؤلاء من أجله .
ومادام الأمر أمر الإيمان ، لذلك نرى أن المسيح فى هذه الجلسة
الوداعية ، قد تكلم معهم فى أمور إيمانية .

فى جلسته معهم ، شمل حديثه أيضاً عقيدة الثالوث القدوس .
فحدثهم عن الآب والروح القدس وعن ذاته ...
ذكرنا ما قاله لهم عن الروح القدس ، وعمله فيهم ، وحلوله عليهم ،
ومكوته معهم ، وإرشاده لهم ...

كذلك ما أكثر الحديث الذى قاله فى تلك الجلسة عن الآب « أنا
ماض إلى أبى » « من عند الآب خرجت ، وأتيت إلى العالم ، وأيضاً أترك
العالم وأرجع إلى الآب » (يوحنا : ١٦ : ٢٨) .

« المعزى الذى سيرسله الآب باسمى » « الذى سأرسله أنا إليكم
من الآب ، الذى من عند الآب ينبثق ، فهو يشهد لى » (يوحنا : ١٥ : ٢٦)
(يوحنا : ١٤ : ٢٦) . هاتان آيتان ، كل منهما واضحة فى حديثها عن الثالوث
القدوس .

أما عن علاقة الآب بالإبن ، فقال لهم :

« أنا في الآب والآب فيّ » « الذي رآني فقد رأى الآب » (يوحنا ١٤ : ٩-١١) . وكان قد قال لهم من قبل « أنا والآب واحد » (يوحنا ١٠ : ٣٠) .

وقد كرر هذه المعلومات ، في صلاته لأجلهم .
فقال للآب « احفظهم في إسمك الذين أعطيتني ، ليكونوا واحداً كما نحن » (يوحنا ١٧ : ١١) . فأعلن هنا أنه والآب واحد... وكرر هذا المعنى أيضاً في صلاته فقال « ليكونوا واحداً ، كما أننا نحن واحد . أنا فيهم ، وأنت فيّ ، ليكونوا مكملين إلى واحد » (يوحنا ١٧ : ٢٢ ، ٢٣) . وقال أيضاً « ليكون الجميع واحداً ، كما أنك أنت أيها الآب فيّ ، وأنا فيك ، ليكونوا هم أيضاً واحداً فينا » (يوحنا ١٧ : ٢١) .
إنه يقدم لهم العقيدة في كلامه ، وفي صلاته .

ثم يتحدثهم عن الآب الذي يحبهم ...
فيقول « الذي يحبني ، يحبه أبي ، وأظهر له ذاتي » (يوحنا ١٤ : ٢١) .
« إن أحبني أحد ، يحفظ كلامي ، ويحبه أبي ، وإليه تأتي ، وعنده نصنع منزلاً » (يوحنا ١٤ : ٢٣) ... إنه يريد أن يربطهم بالآب ، فيحدثهم عن الآب ومحبه لهم . وهكذا يقول « تأتي ساعة ، حين لا أكلمكم بأمثال ، بل أخبركم عن الآب علانية ... لأن الآب نفسه يحبكم ، لأنكم قد أحببتموني ، وآمنتُم أني من عند الآب خرجت » (يوحنا ١٦ : ٢٥ ، ٢٧) .

وفي صلاته عنهم ، يريدهم أن يعرفوا الآب .

فيقول « أيها الآب ... مجد إبنك ... هذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ، ويسوع المسيح الذي أرسلته » (يوحنا ١٧ : ٣-١) .

لقد عرف التلاميذ المسيح . ولكنه يريد أن يعرفهم بالآب أيضاً ، ويعرفهم أن كل شيء هو من الآب . وقد نبح في كل هذا ، إذ يقول في صلاته لله الآب :

« أنا أظهرت إسمك للناس الذين أعطيتني من العالم ... والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك » (يوحنا ١٧ : ٦ ، ٧) .

المسيح وهو ماضٍ إلى الآب ، يربط تلاميذه بالآب : وهكذا يقول : أيها الآب البار ، إن العالم لم يعرفك . أما أنا فعرفتكم . وهؤلاء عرفوا أنك أرسلتني . وعرفتكم إسمك ، وسأعرفهم ، لكي يكون فيهم الحب الذي أحببتني به ، وأكون أنا فيهم .

وهذا الحب ، طلب من الآب أن يحفظهم . وهكذا قال في صلاته « لست أنا بعد في العالم . وأما هؤلاء فهم في العالم ... أيها الآب القدوس ، أحفظهم في إسمك ... لست أسألك أن تأخذهم من العالم ، بل أن تحفظهم من الشرير » . « حين كنت أنا معهم في العالم ، كنت أحفظهم ... أما الآن فإني آتي إليك » ... أحفظهم في إسمك (يوحنا ١٧ : ١١-١٥) .

والمسيح يصلي أيضاً أن يكون معهم باستمرار :

فيقول « أيها الآب ، أريد أن هؤلاء الذى أعطيتنى يكونون معى ،
حيث أكون أنا » (يوحنا : ١٧ : ٢٤) .

إنها عبارة مؤثرة ، تدل على مدى الحب العميق الذى فى قلب السيد
المسيح من نحو تلاميذه ...

حب المسيح لتلاميذه ، وحفظه لهم ، كان أمراً لازماً .
لأنه إن كان الشيطان قد بدأ يعمل ضدهم ، وأزمع أن يغربلهم ،
فلا بد من الناحية الأخرى أن يعمل المسيح لحفظهم ... يقوهم و يعزهم ،
و يعدهم للتجربة المقبلة ، بحبه وحفظه ، وبكلامه معهم ، وصلاته
لأجلهم ...

وهذا الحب الذى فى قلبه نحوهم ، يشجعنا نحن .
يذكرنا بأننا لسنا وحدنا ، بل أنه معنا كل الأيام وإلى إنقضاء
الدهر ، و يذكرنا بتعزياته الإلهية ، وأعداده لأولاده قبل الضيقة ، كما
يذكرنا بمحبة الآب وحفظه لنا .

و يذكرنا أيضاً أن صلاة المسيح قد شملتنا كذلك بقوله :
« لست أسأل من أجل هؤلاء فقط ، بل أيضاً من أجل الذين
يؤمنون بكلامهم » (يوحنا : ١٧ : ٢٠) .

مبارك أنت يارب ، فى كل محبتك وحفظك .
نسألك أن تكون معنا ، كما كنت مع تلاميذك ورسلك القديسين ،
بنفس الحب ، ونفس الحفظ ، ونفس الرعاية .

حقاً إن صلاتك قد حفظت التلاميذ . ومع أنهم ضعفوا بعض
الشيء ، إلا أن الإيمان بقي ثابتاً فيهم ، لم يتزعزع ...
وهذا الإيمان الذي وصل إلينا ، بكرازتهم ...

واستطاع هؤلاء يارب أن « يأتوا بشمر كثير » كما أوصيتهم
(أع ١٥ : ٨) .

كل ذلك كان ببركة آلامك المقدسة ، ومحبتك لتلاميذك وتثبيتك
لهم في يوم الخميس الكبير الذي غسلت فيه أرجلهم ، طهرتهم ، ومنحتهم
جسدك ودمك ، وجلست إليهم تعزيتهم وتقوى إيمانهم .
لك القوة والمجد والبركة والعزة إلى الأبد آمين .



كتابان آخران عن أسبوع الآلام
للبابا شنودة الثالث

- هما : ١ - كلمات المسيح على الصليب
٢ - تسبحة البصخة « لك القوة والمجد »
يمكن أن يكونا معك أيضاً في أسبوع الآلام

الكتاب القادم :
اليقظة الروحية

يصدر في بداية الخمسين المقدسة ١٩٨٢ .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٨٢/٢٨٦٦

فصل الكتاب

أيها القارىء العزيز...
إن تأملنا معاً في أحداث
يوم الخميس الكبير، تواجهنا
ثلاثة أمور هي:

١ - غسل الرب لأرجل
تلاميذه

٢ - تأسيسه لـ
الإفخارستيا

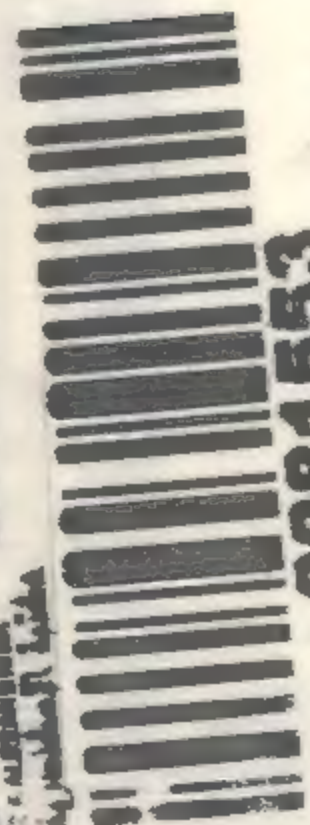
٣ - اهتمامه بتلاميذه،
وخطابه الوداعى لهم، وصلاته
لأجلهم.

وعن تلك الأمور الثلاثة،
أو عن معانيها الروحية، يريد
هذا الكتاب أن يتحدث
إليك...

تراه ماذا سيقول؟

شنوده الثالث

Bibliotheca Alexandrina



0281553

مكتبة الإسكندرية